
ناهض منير الريّس
انشودة القسّام
وقصائد أخرى

الطبعة الاولى

١٩٨٢ - ١٤٠٢



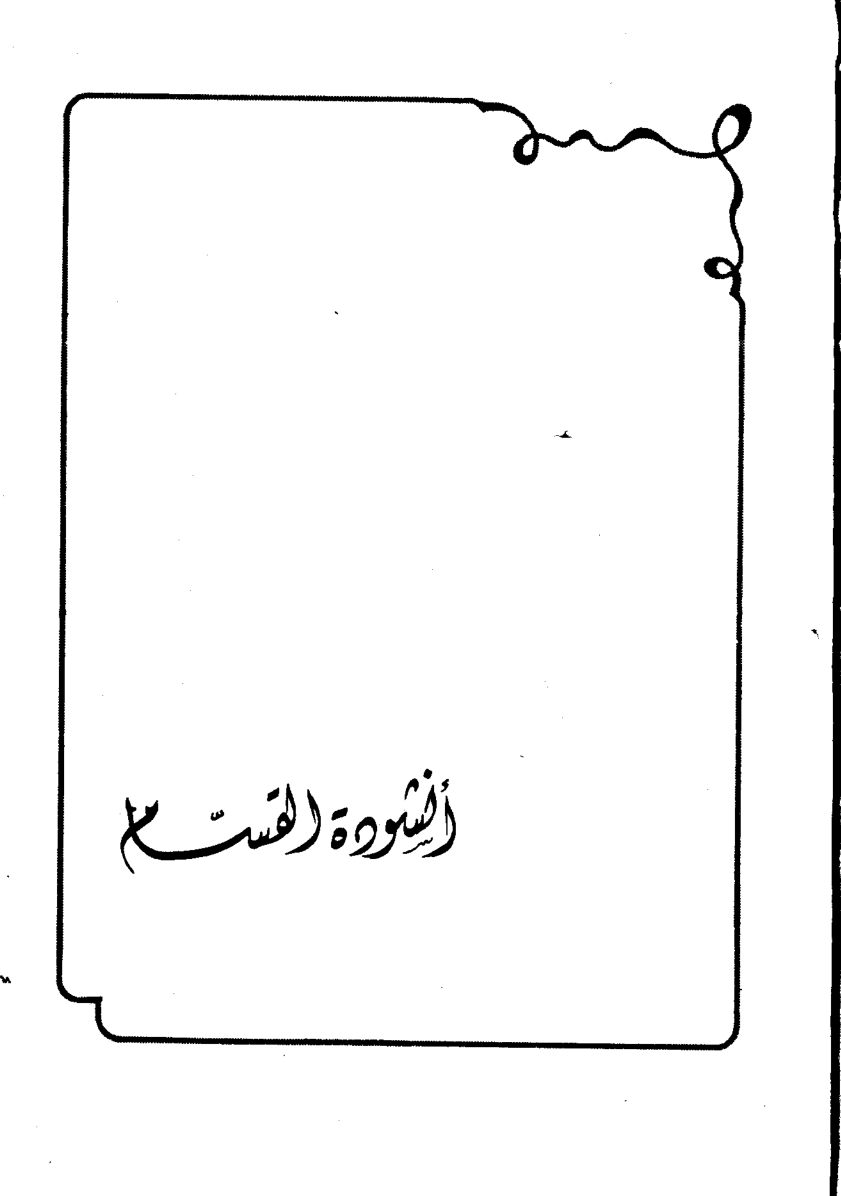
الغلاف والرسوم الداخلية للفنـان الشاعـر عبـد اللـطيف مهنا

الاشراف الفني والخطوط : يوسف حمو

ناهض منير الريس

انشودة القسام
وقصائد اخرى

منشورات فلسطين المحتلة


أنشودة القسم

إضاءة تاريخية على النص

ولد الشيخ عز الدين القسام عام ١٨٧١ م في بلدة جبلة الساحلية ، شمالي سوريا ، لاسرة معروفة بالصلاح والورع . وشب وترعرع في بلدته الصغيرة ، وتلقى علومه الاولية في كتاتيبها . وجمع الى صحة الجسم عمق المشاعر وصلابة الارادة مع لين المعشر المأثور عن أهالي مدن المتوسط .

وتلقى تعليمه العالي في الأزهر الشريف بمصر ، وهو يومئذ منارة علم ومدرَسَة وطنية . ثم عاد الى مسقط رأسه فأقام ، وتزوج ، وأمَّ في مساجدها ، وعلّم في كتاتيبها .

كانت بلاد الشام جزءاً من السلطنة العثمانية التي بلغت مرحلة الضعف والانحلال ، فازداد ولاتها قساوة على رعاياهم العرب الذين تطلع المستنيرون منهم الى الانعتاق وتجديد مجدهم التاريخي . ونشبت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ فانضم شريف مكة الى الحلفاء ضد العثمانيين . وقد غذت بريطانيا في نفوس العرب الأوهام بأن هزيمة

السلطنة ستؤدي الى قيام دولتهم الواحدة وتتويج الشريف حسين نفسه ملكا عليها . وهكذا ضمنت موقفهم وعونهم في المجهود الحربي . ولكن نهاية الحرب لم تشهد الا تنكر بريطانيا لعهودها وتقسيم املاك السلطنة بين الحلفاء المنتصرين .

ودخل الفرنسيون سوريا ، فواجهتهم ثورة عامة . وقاتل اهل الساحل السوري ثلاث سنوات ونصفاً بقيادة الشيخ صالح العلي في معارك ضارية . وشارك عز الدين القسام في قيادة هذه الثورة مما اكسبه خبرة وتجربة مهمة في شؤون التنظيم والتعبئة والسلاح وادارة الصراع . فلما انتهت الثورة بالقمع وصدرت أحكام الاعدام على زعمائها المطاردين ، هاجر القسام الى فلسطين ، عام ١٩٢١ . وهناك استقر في حيفا ، معلما في مدارسها ، واماما لجامع الاستقلال فيها ، ومأذونا شرعياً في قضائها .

ووجد البلاد تغلي بالحقد على الانتداب البريطاني وربيبه الاستعمار اليهودي ، وموجات المهاجرين الصهاينة القادمين من وراء البحار ، فلم يلبث ان بادر الى تأسيس تنظيم « الجهادية » من عناصر مختارة من الرجال . وأمدته خبرته السابقة بفكرة الخلايا السرية ، وتوزيع المهام ، وتقدير قيمة الوقت في انضاج الظروف . ودأب على العمل سنوات طويلة بلا كلل لبناء التنظيم المختار ، وتزويده بالفكر والسلاح ، حتى انتشرت خلاياه التنظيمية في أماكن عديدة ، لا سيما من شمال فلسطين .

ثم توفر له في عام ١٩٣٥ من عوامل تقدير الموقف ، ما ادى به للانتقال

الى طور القتال . فاختار الغابات المنتشرة في منطقة « يعبد » من قضاء جنين قاعدة لفصيله الطليعي الأول ، واختار ٢/ ١١/ ١٩٣٥ موعداً لانطلاقته المسلحة رداً على ٢/ ١١/ ١٩١٧ يوم وعد بلفور ، وواصل سلسلة عملياته ضد الدوريات البريطانية والمستعمرات اليهودية .

وفي المقابل ، اسرعت الامبراطورية البريطانية ، بحشد قوات عسكرية ضخمة العدد وافرة التسلح ، يساندها الطيران ، فحاصرت القسام ورفاقه المجاهدين فلم يتوانوا عن الاشتباك معها ، حتى استحقوا شرف الشهادة .

كان القسام يعتقد ان طلقته الاولى يجب ان تكون افتتاحية في فصل كامل من الجهاد . وفي هذا لم يخطىء تقديره . لقد تجاوبت البلاد مع بادرته ، وأثمر ذلك التجاوب ثورة عام ١٩٣٦ التي استمرت ثلاث سنوات ، وكان تلاميذه القساميون من أصلب وأشرف قادتها .

بل ظلت امثولة القسام الهاما للروح الوطنية في فلسطين حتى يومنا هذا ، لأن امثال القسام يموتون مرة واحدة ، ويولدون بلا انقطاع .

الميلاد

فِي مُدُنِ البَحْرِ الأَبْيَضِ يُسْمَعُ صَوْتُ المَوْجِ دُعَاءْ
يَرْفَعُهُ العُمْقُ اللُّجِيُّ إِلى الشَمْسِ هُتَافاً
. . . . . يَصْرُخُ فِيهْ
. . أَوْ يَهْمِسُهُ حَتَّى يُصْبِحَ تَهْوِيمَ حَنِينْ
ما زالَتْ تَتَحَرَّكُ في قَلْبِ الأَشْيَاءْ
مِنْ عَهْدٍ مَجْهُولٍ أَشْواقُ التَّكْوِينْ
الدِّفْءُ ، وَطِينُ الأَرْضِ اللاَّزِبُ ، والمَاءُ
والرُّوحُ التَّائِهُ يَبْحَثُ عَنْ جَسَدٍ يُؤْوِيهْ
يَطْلُبُهُ في القَمْحِ وَفي البَيْدَرِ

خُبْزاً مَحْضاً لا يكْفيهْ
يَطْلُبُهُ في اللَّيْلِ وَفي الرَّهْبَةِ
لا يَلْمَحُ نُوراً يَهْديهْ
يَطْلُبُهُ فَوْقَ جَناحِ النَّسْرِ الطَّائِرِ
لٰكِنَّ الوَحْشَةَ أُخْتُ التِّيهْ
والزَّمَنُ ـ النُصبُ الماثِلُ أَبَداً ـ
تَقِفُ عَلَيْهِ طُيُورُ المَوْسِمِ آلافَا
تَحْسُو حَسْوَتَها ثُمَّ تَطِيرْ
للدِّفْءِ ، ولِلطِّينِ الأَخْصَبِ ، والمَاءْ

***

في مُدُنِ البَحْرِ الأَبْيَضِ
يُسْمَعُ صَوْتُ المَوْجِ غِناءْ
وَيَرِقُّ حَفِيفُ الغَابَاتِ فَيَنْعَسُ أَطْفَالُ الصيَّادِينْ
تَكْتَنِزُ صُدُورُهُمُ البَضَّةُ عافِيَةً سَمْراءْ
وَتَجِيءُ الحُورِيَّاتُ إلى الحُلْمِ سِراعاً
بالشَّعْرِ النَّاعِمِ ، والصَّدْرِ النَّاهِدِ

والنِّصْفِ اللَّدِنِ السَمَكيِّ
تَشُقُّ عُبَابَ الأَمْواجِ
وتُحْيِي عِنْدَ الشَّاطِىءِ مِيلادَ اللُّؤْلُؤِ في جَوْفِ الأَصْدَافْ
تُهْدِي أَحْلامَهُمُ الذَّهَبِيَّةَ مِجْدَافَا
يُبْحِرُ بِالمَرْكَبِ في أُفُقِ الغَيْبِ المَجْهُولْ

***

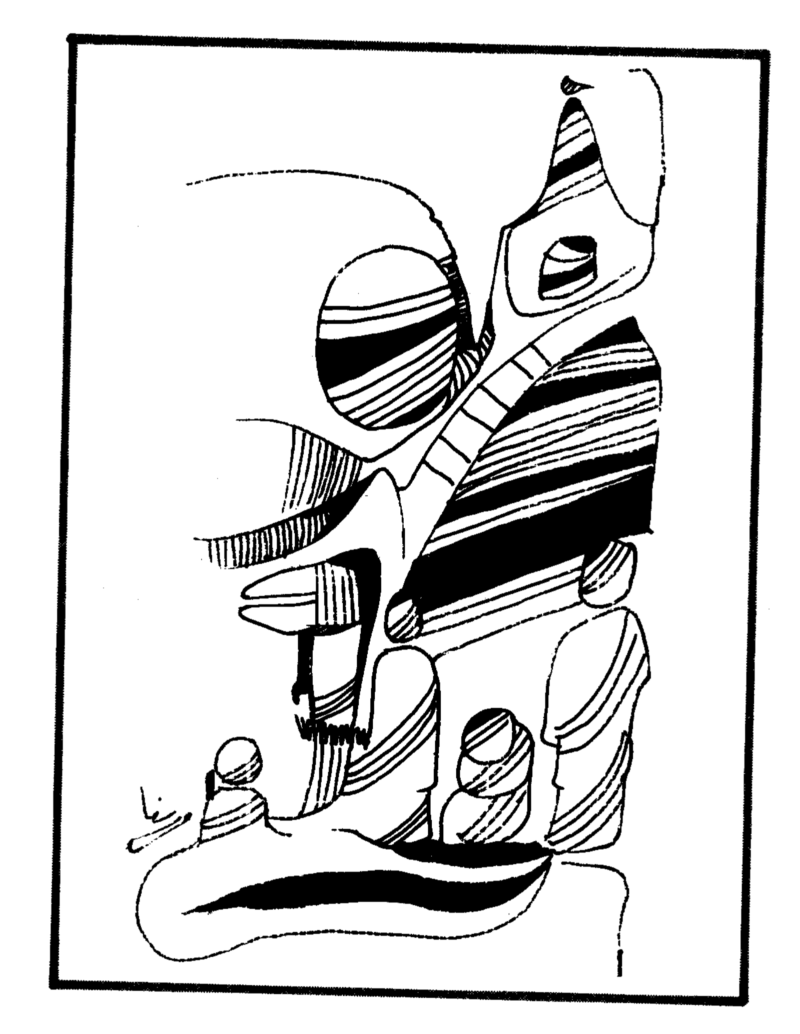
في مُدُنِ البَحْرِ الأَبْيَضِ
يُسْمَعُ صَوْتُ المَوْجِ هَدِيرْ
قَصْفَاً في اللَّيْلِ الشِتْوِيِّ بَعِيدا
يَأْتي مِنْ مَيْدَانٍ خَلْفِيٍّ
في جَبْهَةِ حَرْبِ
تَشْتَعِلُ أَكِيْدا
حِينَ يَعُودُ أَمِيرُ البَحْرِ الغَائِبُ مِنْ جُزُرِ النَّوْمْ
يَتَعَجَّلُ نَصْبَ مَدَافِعِهِ
وَيَصُبُّ صَواعِقَ في لَيْلٍ . . تَصْطَفِقُ لَهُ أَبْوابُ القَلْبْ
وَتُدَمْدِمُ رِيحٌ ثَلْجِيَّةْ

تَخْتَرِقُ أَزِقَّةَ تِلْكَ الأَحْيَاءِ الأَثَرِيَّةِ
تِلْكَ الأحياءِ العَابِقَةِ بِرائِحَةِ العِزِّ الغابِرِ
والطُّحْلُب . . .
صَوْتُ المَوْجِ يَلِجُّ وَلْكِنْ ما يَلْبَثُ يَسْتَرْخي
فَكَأَنَّ المَعْرَكَةَ تَناهَتْ
لَمْ يُسْمَعْ للغالِبِ ضَحِكٌ
أَوْ لِلْمَغْلُوبِ أَنِينْ

***

في مُدُنِ البَحْرِ الأَبْيَضِ
لا يَهْرُبُ فَصْلٌ مِنْ فَصْلِ
فَهُنالِكَ مُتَّسَعٌ لِلْكُلِّ
بِبَطْنِ الوادِي
وعَلَى الشَّاطِيءِ
وَبِأَعْلَى القِمَّةِ . .
جِسْمُ الأَرْضِ وليمَةُ كُلِّ ضُيُوفِ العَامِ
وَجِسْمُ النَّاسِ مَقَرُّ الأَمْزِجَةِ المُتَعانِقِ فيها البَرْدُ

بِحَرِّ الصَّيْفِ عِناقْ
النَّازِلِ فِيها الرِّيحُ بِسَاحَةِ زَهْرِ المِشْمِشِ والأَوْرَاقْ
إسْمَعْ :
في النَّايِ مَوَاجِعُ غاضِيَةٌ
في التَّرْجيعِ آسْتِخْذاءٌ يَتَحايَلُ بالأَشْوَاقْ :
يَقْتَرِبُ بِنَصْلِ الشَّهَوَاتِ البَارِدِ
مِنْ مُسْتَوْدَعِ دِفْءِ الأُنْثَى
يَسْتَوْلِدُهَا المَوَّالَ وَلَحْنَ السيرِ يَنادْ
يُطْلِقُهُ كالمُهْرِ عَلَى أَقْدامٍ لَيِّنَةٍ
تَتَصالَبُ رَكْضاً تَحْتَ أَشِعَّةِ نَجْمِ الصُّبْحِ
قَرِيباً وبَعِيدا
مُقْتَرِناً ووَحِيدا
وَتَراً مَشْدُوداً
مَوْعُوداً
بالحُرِّيَّةِ
بالحُبِّ



بِزَهْرِ السَّوْسَنِ
بالآفاقْ

***

يا بِنْتَ الحرِّ يُكَحِّلُها زَيْتُ الزَّيْتُونِ وتُنْجِبُ ذَكَراً
بِشَرَابِ التُّوتِ لَكِ الأكْوابُ آمْتَلأَتْ
بِشَرَابِ الوَرْدِ لَكِ الأكْوابْ
رَنَّ الخُلْخالُ بِصَحْنِ الدَّارْ
وانْعَتَقَ مِنَ الظُّلُماتِ نَهارْ
قُومي يا أُمَّ الفارِسِ نُسْرِجْ ظَهْرَ حِصَانٍ أَبْيَضَ ،
قُومي لِنُعِدَّ لَهُ زاداً وحُساماً
ها قَدْ ناداهُ الأصْحابْ
فيهِمْ خالِدُ
وعَلِيٌّ
وسَعْدٌ
وأُسامَةْ
مِنْ مِسْكِ الصَّحْراءِ لَهُمْ رِيحْ

بالبَيْرَقِ مِنْ سِتْرِ الكَعْبَةِ
ناداهُ عَلَى البَابِ الأصْحَابْ
الفَجْرُ مَعَادُ الرِّحْلَةِ للسفَرِ القَاصِدْ
ورُكُوبُ الشَّمْسِ عَلَى الأُفُقِ الشَّرْقِيِّ
العَادَةُ مِنْ زَمَنِ الفَتْحِ العُمَرِيِّ
نُوَدِّعُهُمْ يَوْماً وَنُلاقِيهِمْ
فِي السَّطْرِ الذَّهَبِيِّ
وَفِي القَوْسِ القُزَحِيِّ
وُجُوهاً لَمْ تَحْرِقْهَا صَحْرَاءٌ قَطَعَتْهَا
لَمْ تُغْرِقْهَا أَنْهَارٌ عَبَرَتْهَا
وُلِدَتْ كَيْ تَتَذَكَّرَهَا الأَجْيَالُ
المُشْرَعَةُ عُيُوناً نَحْوَ أَدِلاَّءِ الزَّمَنِ العَرَبِيِّ
المَطْوِيِّ ، وَرَاءَ قُرُونِ الغيلانِ
المَرْمِيِّ ، بِقَعْرِ الوِدْيَانِ
المُتَنَاثِرِ كَشَظَايَا صَاعِقَةٍ بَرَدَتْ فِي نَجْمٍ مُطْفَأ
ما زَالَ لَهُ بَيْنَ الأَفْلاكِ مَكَانْ .



الثورة

بَيْنَ الأفلاكِ دُخانْ
وعلى الجدرانْ
تَهَرَّأَ جِصٌ منقوشٌ بالخَتْمِ السُّلطانيِّ
وشَبَّ حريقٌ في قصرِ السلطانْ
مُذْ عادَ أُميَّةُ يسكرُ
والعبَّاسُ يناوِئُهُ الجُنْدُ
وحَدَّقت الماسونيةُ في سِرِّبني عُثْمانْ
مُذْ سَرَقَ الملتزمونَ البيدرَ
وانتشرَ جرادٌ اخضرُ

يأكلُ حتى ورقَ القرآنْ
ما كانَ محمدُ طاغيةً
او كانَ الإسلامُ الطغيانْ

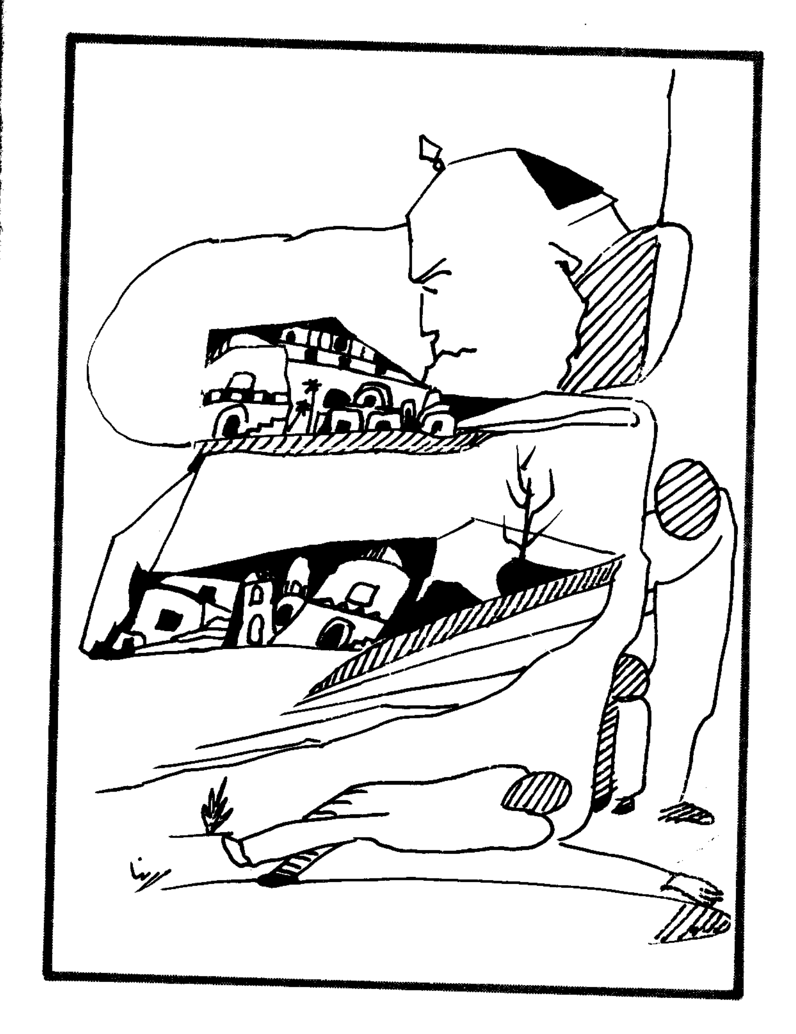
***

اصْفَرَّ شُعاعُ الشَّمْسِ على ريفِ الفُقَراءِ
ولاحَ دخانْ
وتَصَدَّرت الساحاتِ الكُبْرى في حاضرةِ الدَّوْلَةِ
ساعاتٌ من غيرِ عقاربَ
صارتْ بيتَ عناكبَ
عَشَّشَ فيها دودُ الرِّشْوةِ
وتَسَوَّسَ عظمُ الحُكَّامْ
البابُ العالي منخورٌ
والدُّهنُ ترسَّبَ في الشريانْ

***

يا زمنَ الطربوشِ الأحمرِ
والجمعيَّاتِ السِريَّةْ

لم يكن الوارثُ في قَدْرِ الميراثِ
وما نزلَ القرآنُ لِيُقْرأَ
إلا باللغةِ العَرَبِيَّةْ
ما أعماكمْ عن هذا ؟
وا أسفا !
يا زمنَ الموسيقى المَمْدودةِ
كخرير النرجيلةِ في ظِلٍّ خميلهْ
والعصرُ له وقعُ الساعةِ
في ساحاتِ المدنِ الكبرى
والمطرقةِ على دولابِ الآلةِ
وبخارِ القاطرةِ من الفُوَّهةِ الناريَّةِ
يا زمنَ الموسيقى الممدودةِ والنَّرْجيلهْ :
فاجَأَكَ الصُّنَّاعُ الغربيُّونَ بأسنانِ الفولاذِ
وفاجأَكَ صنائِعُهُمْ بعيونِ الفولاذِ
وفاجأَكَ الدُّهْنُ المترسِّبُ في الشِّرْيانْ
فانتظرْ الآنْ . .



لن ينجدَ هذي الدولةَ طورانٌ
او يبعثَها قحطانْ

***

بينَ الافلاكِ دخانْ
والحربُ عوَانْ
شبَّت بالفحمِ الحجَريِّ
وثنَّتْ بالزيتونِ الدَّهْريِّ
وأكلتْ أشلاءَ الإنسانْ
ولَوْ آنَّ وقوداً باتَ يضيءُ على جبَلٍ
لتعزَّى الغُصْنُ بما يهدى الحيرانْ
ولو آنَّ شهيداً يتحرَّى علَماً ونشيداً
لتعزَّى الأيتامُ بذكرى الشُّجْعانْ
لكنَّ الجنديَّ الغائبَ
في أوْحالِ الخندقِ
اضناهُ التَّحْنانْ
لرغيفِ الأُمِّ الداريِّ

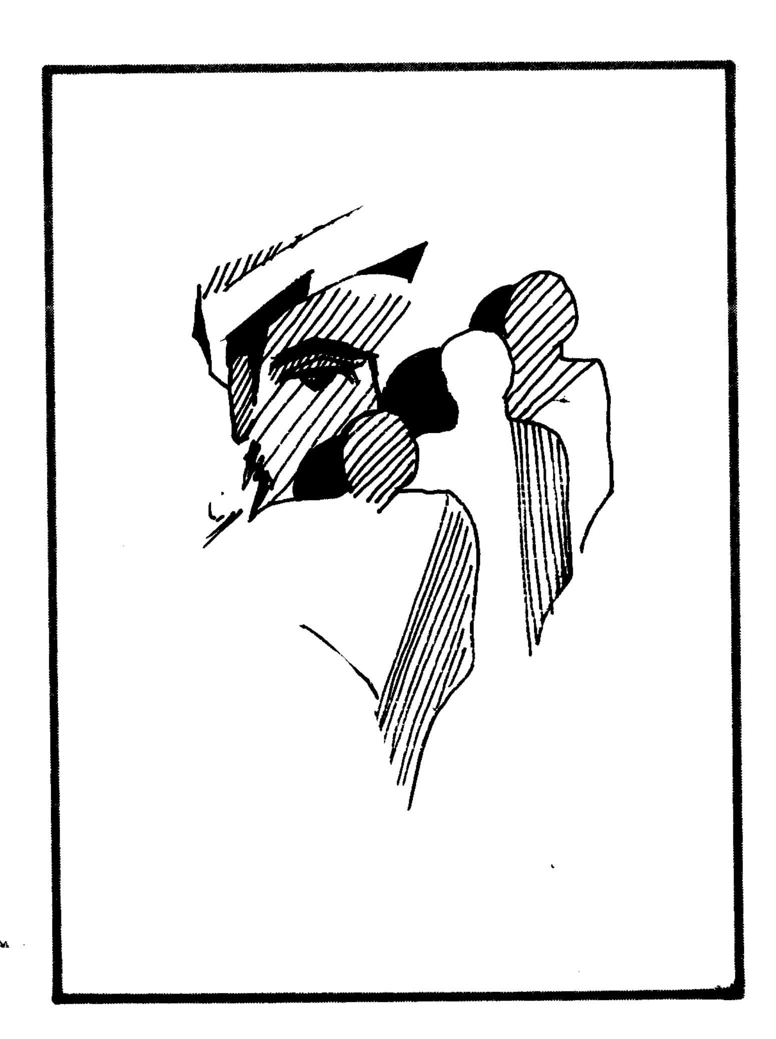
وللقمرِ الطالعِ في اللّيْل القَرَويّ
وقالَ يُناجي وَحْلَ الخندقِ :

ـ « منذ زمانْ
أنا في الوحلِ
فدعْني أخرجْ منكَ
الى وحلٍ آخرَ
حتَّى أَبْلُغ بيتَ أبي »
قالَ شريفُ القومِ :
ـ « لِنُطلقْ طَلقتَنَا في ظهرِ السُّلْطانْ
فلَعلَّ الشيطانَ الغَرْبي
يجزي بوفاءٍ للعرَبِ »
قالَ الشيطانْ :
ـ « مثلي من وَعَدَ فأوفى
أُطْلِقْ طلقتَكَ وخُذْ ذهبي »
قالَ الضابطُ مفتولُ الشاربْ
المسكونُ بِحُمَّى النَّصْرِ الهاربْ

ـ « عربُ خياناتْ . .
أأكلتمْ خبزَ السُّلطانِ
وضيَّعْتُم عَهْدَ السُّلطانْ ؟ »
قالَ التاريخْ :
ـ « مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ؟
أَهُمُ الرُّعْيانُ ؟ أم القُطعانْ ؟ »
قالَ الفولاذُ :
ـ « انتهت الحربُ » .
وقال اللنبي [1]
ـ « الآنَ استولى قلبُ الأسدِ
على ميراثِ يسوعْ » .
وردَّدَ غورو [2] :

(١) الجنرال اللنبي : قائد القوات البريطانية الذي فتح القدس في الحرب العالمية الأولى وقال « الآن انتهت الحروب الصليبية » .
(٢) الجنرال غورو : قائد القوات الفرنسية التي فتحت دمشق في الحرب العالمية الأولى . زار قبر صلاح الدين في دمشق وخاطبه قائلا : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » .

- « ها عدنا يا قَبْرَ صلاحِ الدينْ »
وقالَ صلاحُ الدينْ :
- « لو كانَ لقبرٍ أنْ يمتشقَ السيفَ . . .
لَكَانْ . . »
وردَّدَ عزُّ الدينِ على مِنْبَرِ جَبْلة :
- « مِيْزابٌ أعقبهُ طوفانْ
وهوانٌ أعقبَهُ خُذْلانْ
الجبلَ . . الجبلَ
النارَ . . النارَ
على من خانْ »
نداءُ الثورةِ للثوارْ :
نَهُبُّ عليهم كالاعصارِ
نُغيرُ عليهم كالعقبانِ
نثورُ عليهم كالبركانِ
فرنسا : ارتَدِّي
لا تتعدِّي



لا تتحدَّي
لَنْ نفرشَ دربَكِ بالوردِ
فَلْيَلْعَنْكِ الجوعُ الضاربُ
في أحشاءِ يتامى الحَرْبِ
ولْيَلْعَنْكِ العَهْدُ الضائعُ
ولْيَلْعنكِ الحلفُ الخادعُ
أمسِ ثغيتِ ثُغاءَ قطيعٍ عندَ النَّهْرِ [٣]
بكيتِ بُكاءَ رضيعٍ في فردانْ
طأطأتِ . . جثوتِ
انكشفتْ عوراتُكِ لعيونِ الألمانْ
أما استحيَيتِ ؟
وفيمَ اتيتِ ؟
وهل لا في الشرقِ تذكرتِ

(٣) في معركة « اين » اثناء الحرب العالمية الأولى دخل الجنود الفرنسيون ساحة المعركة وهم يقلدون اصوات الغنم المسوقة للذبح .

« صبيحَ » [٤] السَجَّانْ ؟
يا صالُح [٥] فارفعْ رايةَ أيُوبِ
واقرعْ لهنانو [٦] طبلَ الساحلِ
يأتوك رجالاً
لا يألونَ نضالاً
تأتيكَ ينابيعُ الجبلِ
وأشجارُ التينْ
تأتيكَ مغاراتُ الجبلِ
وَنبْتُ اليقطينْ
ياتيكَ زبيبُ الجبلِ
ويأتيكَ الصوَّانْ
إن كانَ الفجرُ سَيُطْلِعُ شمساً مُعْتَلَّهْ

(٤) الطواشي صبيح : سجان الملك لويس التاسع الذي اسره الجيش الايوبي بعد هزيمة حملته الصليبية ، واودع دار ابن لقمان بالمنصورة .
(٥) صالح العلي : قائد ثورة الساحل السوري عام/ ١٩١٨ .
(٦) ابراهيم هنانو : قائد منطقة حلب في الثورة .

فليبقَ الليلُ وينشرْ ظِلَّهْ
نصرُ الحلفاءِ هو الشمسُ السوداءْ
فاستولِدْ من صفحةِ سيفكَ نوراً
من نجمٍ يَشْهَدُ مسراكْ
لا تأملْ في الدُّوَلِ الكُبرى
أملاً إنْ لمْ تبلغْهُ يداكْ
يا روحَ الأرضِ
ونبضَ الأرضْ
لا تسألْ كيفَ تمزَّقَ لحمُ الأرضْ
في الخلوةِ ما بينَ وزيرٍ ووزيرْ (٧)
وانظرْ لجيوشِ المنتصرينْ
تغرزُ في عظمِ مفاصِلنا الأسلاكْ
ما الناقورةُ ؟ ما الرَّمثا ؟ ما يابوسْ ؟
ما الرطبةُ ؟ ما طبريَّا ؟ ما العَقَبَهْ ؟

---

(٧) معاهدة سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا وبموجبها قسمت الدولتان املاك تركيا والحرب لم تنته بعد .

هذا مسلخُ أوطانْ . .
هذا مذبحُ ازمانْ . .
هذا قهرُ الانسانْ . .
هذا عملُ الشيطانْ . .
سنقاتلُ مهما عزَّ النَّصرْ
سنقاتلُ فرضاً وجهادا
فاذا سُئِلتْ عَيْنٌ مُبْصرةٌ
عن صاحبِها يومَ الحَشْرْ
لم تنطقْ : كانَ جباناً قوَّادا
أوَليسَ البصرُ بمسؤولٍ والسَّمْعْ
وفؤادُكَ إنْ أُوتيتَ فؤادا
سنقاتلُ كيْ تَرِثَ الأولادْ
راياتٍ تورثُها الأحفادا
سنقاتلُ في الحقِّ عنادا
نُلبِسُهُمْ في العُرْسِ حدادا
سنقاتلُ من أجلِ الشُّهداءْ



ام طُلاَّبُ المُلْكِ على الأشلاءْ
فسرابٌ ما حسبوهُ الماءْ
واذا شربوه فلن يغدوا
الا حراساً للاسلاكْ

***

الجبلَ . . الجبلَ
ودارُ العِزِّ باعلاهُ
دارٌ سامقةٌ شامخةُ البنيانْ
وَطَّدَها الصَّخْرُ
وعزَّ بها الفتيانْ
مِنْ كُلِّ عنودٍ سَدَّ الثَّغْرةَ كالعَوْسَجْ
مفتولِ الأطرافِ مدجَّجْ
يَنْقَضُّ كما الصخرُ الجَلْمَدْ
ويذوبُ اذا باتَ مهدَّدْ
ويَعُضُّ على رأسِ الأفْعى
ان جاعَ ويُطْعِمُ من أَنْجَدْ

وَيُسَهِّدُ مَضْجَعَ من عادى
ولو آنَّ القلعةَ مأواهُ
يا صوتاً نادى وأعادا
المجدُ لِسَمْعِ لبّاهُ
لرجالٍ فعلوا إنْ عزَموا

زَحفُوا
كَمنُوا
انقضُّوا
هَجَمُوا
انفضُّوا
سَلِمُوا

رجعوا في فَلَواتِ اللَّيْلِ جيادا
خلعَ اللَّيْلُ سوادا .
ضَحِكَ النَّجْمُ
وجاءَ البَدْرُ
لِيَغْسِلَ في المتوسِّطِ

جِسْمَ شهيدٍ كفَّنهُ اللهُ
بجلالٍ ثم استدناهُ
والشَّمْسُ تعودُ كما كانتْ بيضاءْ
تحمرُّ على الغاصبِ
لكنْ تحنو للطفلِ المُنْتَظِرِ أباهُ
ما بينَ الشاطىءِ والنبعِ
وما بين الغزوةِ والغزوةْ
والصَّخْرُ يلينُ لمرآهُ
الصَّخرُ يلينْ . .
لكنَّ جيوشَ المحتلّين
عَبَدَتْ صَنَمَ الفولاذِ جمادا
هل عاد مغولُ الأرضِ ضُحىً ؟
أمْ مَنْ عادا ؟
سَلْ « كوكبَ » أو سلْ بغدادا (٨)

(٨) كما ان المغول احرقوا بغداد في القرن الهجري كذلك قام الفرنسيون باحراق قرية كوكب في الساحل السوري مرتين في عام واحد (١٩٢٠) عدا القرى الأخرى .

او سَلْ عرباتِ الجرِّ على الأفقِ المُغْبَرْ

تسحبُ في المغربِ خيطَ دخَانْ

او خيطَ غبارْ

والريحُ الشرقيُّ روائحْ

تغني أذنيْك عن الأسرارْ

هذي الهبَّةُ رائحةُ حريقِ العُشْبْ

هذي الهبَّةُ رائحةُ حريقِ الأشجارْ

هذي الهبَّةُ رائحةُ حريقِ الأبقارْ

هذي الهبَّةُ رائحةُ حريق أبيكْ

وأخيكْ

وفصيلتِكَ المشتاقةِ أنْ تُؤْويك

والريحُ الشرقيُّ مذابحْ

والغاليُّونَ (٩) وراءَ الريحِ تتارْ

جاؤ وا من شرقٍ او مِنْ غَرْبْ

(٩) كانت فرنسا في التاريخ القديم تعرف ببلاد الغال .

في القرنِ العاشرِ او في القرنِ العشرينَ

على صهواتِ الخيلِ او الدباباتِ ذواتِ الابراجْ

لَبِسوا قُبَّعةَ اللبَّادِ او اعتمروا فروَ الدِّبَبة

هو الاستعمارْ

هو الاستعمارْ

***

الخيلُ دفعناها ضبحا

لم تتذمرْ

حتى اصطَدَمتْ بالدباباتْ

والخيالةُ

موجاتٌ تسبحُ في موجاتْ

لم تتقهقرْ

حتى حصدتْها الرشاشاتْ

(الزمنُ قطارْ . .

كادت تلحقه الخيلُ بوادي وَرْوَرْ) [١٠]

لكنَّ الزمنَ قطارْ

لم يتوقفْ ،

واندفعَ ودارْ

اندَفع وغابْ

وترامَتْ حمحمةُ الخيلِ بصحراءِ الليلْ

تتضرعُ ، او تتوعدُ ، او تتفجَّرْ :

يا زَمنَ الفولاذِ الأغبرْ

لو ادركناكْ !

لو ادركناكْ !

***

---

(١٠) موقعة هامة انتصرت فيها قوات الثـورة على جمـوع الجيش الفرنسي وكبدته خسائر جسيمة .

* شقيقة الشاعر ولدت في مدينة غزة سنـة ١٩٤٥ . وتلقـت علومها الثانوية في مدرسة الزهراء بغزة . وحصلت على اجازة قسم الآداب في اللغة العربية من جامعة القاهرة . كانت شاعرة واما صالحة . توفيت من مرض السرطان في مستشفـى رويال مارسدن في لندن في ربيع عام ١٩٧٨ .

وتأمَّلَ عزُّ الدين الجَزْرَ يعمُّ البحرْ

وتأمَّلَ كيفَ تغوصُ الى العمقِ الأسماك

« ان كانت الا جولةْ »

والمد الآن على شاطىءِ (جندِ فلسطينْ)

فالحقْ بالمدِّ هناكْ

وودِّعْ (جندَ الشامْ)

الهجرةُ كانت سُنَّةَ سيِّدِكَ المقدامْ

ما مكةُ ؟ ما يثربُ ؟

ما جبلةُ ؟ ما حيفا ؟

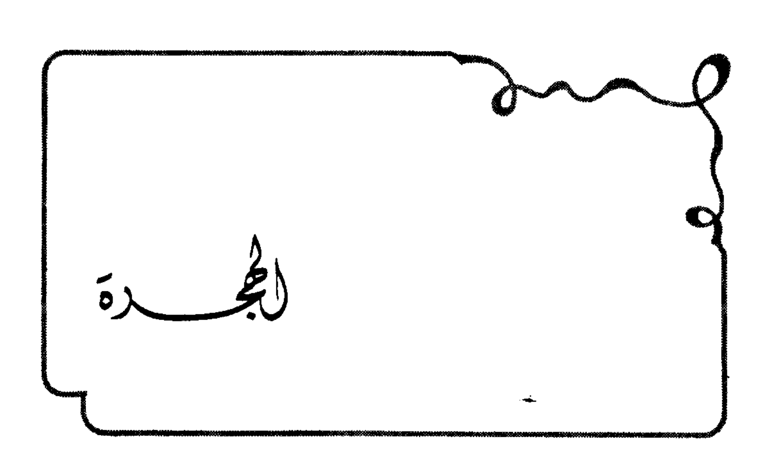
ما يُمْناكَ وما يُسراكْ

الحقْ بالمدِّ هناكْ

وكفاكَ وسامْ

حكمُ الاعدامْ

من محكمةِ الباغي السَّفَّاكْ



الهجرة

مولايَ الوافدُ من جبْلَةَ
ـ لا يملكُ غيرَ عباءَتِهِ ـ
دَميَتْ قدماهُ من الاشواكْ
لم يُشْبِهْ مَنْ عرَفتْ حيفا
من طُرَّاقِ الليلِ النُسَّاكْ
كانت عيناهُ كفُوَّهتيْ نارِ
من تحت عمامتهِ
وبدت كفَّاهُ مُقرَّحتينْ
كفا فلاحٍ أُشقيتا رَدْحاً بالقطفِ وبالغرسِ

فلاحٍ قد يُلْقي مِعْوَلَهُ
عجلاً في شَجَرِ الزيتونْ
يستغني عن زُوَّادَتِهِ
ويخوضُ عراكاً إثر عراكْ
لا يتوقّفُ الا ليُتَمْتِمَ في السِرِّ
بآيِ الكُرْسي
مولايَ الشيخُ تَسَنَّم جبلاً
راودَ أملاً
عركَ الثورةَ
حتى عركتهُ وسكَنَتْهْ
تَمَرَّسَ بالحُبِّ وبالبُغْضِ
تمرسَ بالأخذِ وبالهَجْرِ
تمرسَ بالرمْلِ وبالصَّخرِ
تمرسَ بالدينِ وبالطيْنْ
« اللهُ يحبُّ العبدَ قوياً
عزَّ الدينْ

فاضربْ بالحقِّ ، لوجْهِ الحقْ
يحفظكَ الحقْ
أو يقبضْ روحكَ
تصعدْ أعلى عليينْ » .

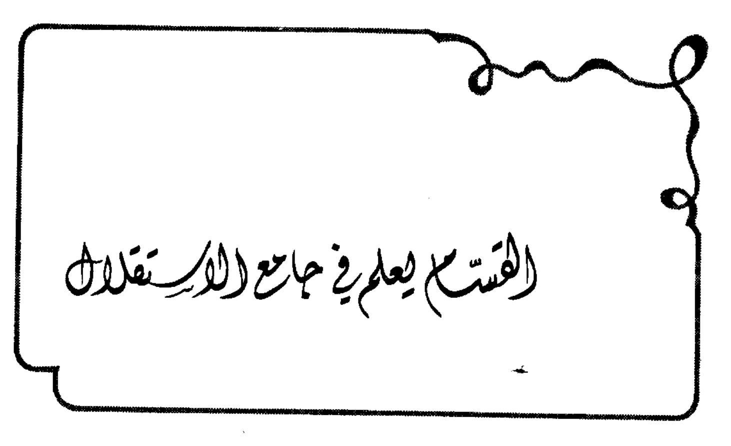
* * *

مولايَ الوافدُ قد يَتَخَفَّفُ
من وُعَثاءِ مسيرتِهِ
قد يبدو رغم جلادتِهِ
جهماً في سمتِ المحزونينْ
ويجدِّدُ أحباباً ودروباً
ويجدِّد اعداءْ
والبحر هو البحرُ ،
وحيفا اكبر من جبْلةَ
والمسجدُ أبهى
والفجرُ يوافقُ نفسَ الساعَهْ
لكنَّ غريبَ الدار حزينْ

لَوْ في ساعهْ
مَنْ فارقَ موطنَه الأولَ
فلقد حَزَّ وريداً في القلبْ
سيَظَلُّ يصبُّ صبيباً
يسقي في الرملِ كثيباً
يسقي صحراءً مجهولةْ
حتى تَنْبُتَ زنبقةٌ صفراءُ
لها وَهْجُ الحزنْ
ولقد تصبحُ تلكَ الزنبقةُ خميلةْ
ولقد تلتفُّ وتصبحُ دَغَلاً
لا يدخُلُهُ الطَّيْرُ
فافتحْ للبحرِ نوافذَ مسجدِكَ الجامعْ
لا تزهدْ يا مولايَ الشيخُ بنسمتِهِ
فنسيمُ البحرِ جلاءُ القلبِ
المستحيي من غربتِه
المتفيءِ ظِلَّ الطاعةْ

***

البحرُ هو البحرُ
وهذا الميناءُ الثغرْ
ثَغْرٌ محمومٌ فيه نشاطْ
لكنْ لا تحرسُهُ الامهْ
ثغرٌ لا يسهرُ فيه رِبّاطْ
لم تَبْقَ ثغورٌ الا في قَبْضةِ اعداءْ
تتداعى الامم المنهومةُ
والقَصْعةُ لا ترفعُ كفا
والزبدُ الرابي في البحرِ فقاعهْ
تتكسرُ قبل بلوغ الصخرْ
فامكثْ في الارضِ لنفعِ الناسْ
علِّمْهم كَيْفَ الشعبُ الاعزلُ
يتقلَّدُ سيفا



آعْلَمْ يا ولَدي انَّ الثَّوْرَةَ بِنْتُ السِّرّ
تُولَدُ في رَحِمِ اليَأْسْ
يُودِعُ نُطفَتَها العقْلُ الرَّاجحُ في القَلْبِ المَجْنُونْ
تَتَغذّى بالحَبْلِ السُرِيِّ منَ النَّارِ المُسْتَعِرةِ في الأعْماقْ
فاحْذَرْ أنْ يُجْهِضَهَا الإفْصَاحْ
واحْذَرْ أنْ يَخْنُقَهَا الكِتْمَانْ
والثَّوْرَةُ في البَدْءِ زَواجُ الكَلِمَةِ بالإنْسَانْ
فَتَخَيَّرْ للنُطْفَةِ أرْحاماً لا يَبْصُقُ فِيها الزَّانُونْ

***

أرأيتَ إلى صَرْحٍ في وَجْهِ الرِّيحِ يُشادْ
أيُقامُ على رَمْلٍ مِنْ وَحْلِ المُسْتَنْقَعْ ؟
أرَأيْت إلى أتُّونٍ يسبِكُهُ الحَدَّادْ
هَلْ يُصْنَعُ مِنْ أوْشَابِ مَعادِنَ لا تَنْفَعْ ؟
الثَّوْرَةُ صَرْحٌ ، والثَّوْرَةُ أتُّونْ
والثَّوْرَةُ رُوحٌ غَلاَّبٌ وَعِنَادْ
وَصُمُودٌ يَعْجزُ عَنْهُ الكَذَّابُونْ

***

وآعلمْ يا وَلَدي انَّ الثَّوْرَةَ أُخْتُ رِجَالْ
لا تَبْخَلُ أنْ تُطْعِمَهَا حبَّ العَيْنْ
تَحْرسهَا وَهِيَ تَنَامَى بالفِتْرِ وبالشِّبْرْ
فإذا شَبَّتْ وَتَوهَّجَ خدَّاها كَالجَمْرْ
حَسُنَتْ في عَيْنِ الثَّرْثارِينْ
وَلَقَدْ يَخْطفُهَا عَنْ فَرَسِ أبِيها قُطَّاعُ الطُّرُقِ
ويزعم نِسْبَتَهَا الأعْدَاءْ

وَلَقَدْ يَخْطبُهَا أهْلُ المَالْ
ولَقَدْ يَتَعجَّلُ ثَمرتَها حتَّى سَدَنَتُها الأبْطَالْ
لَكِنَّ الثَّوْرَةَ يا وَلَدِي إرْثُ الأجْيَالْ

***

إنَّكَ مِنْ شَعْبٍ مَجْبُولٍ بالنُّبْلْ
إنْ يَسْقُطْ مِنْهُ شَهِيدٌ قامَ أُلوفْ
أوْيُخْلِ الصفَّ جَرِيحٌ هَبَّ صُفُوفْ
لا تَخْشَ نُكُوصَ النَّاسِ عن الغمَرَاتْ
فالناسُ بِخَيْرٍ ما أضْمَرْتَ الخَيْرْ
والثَّوْرَةُ مثل كَرامَةِ صُوفِيّ
تَضْعُفُ إنْ يَضْعُفْ مِنْهُ العَزْمْ
وَتَسيرُ عَلَى الماءِ بِطُهْرِ النيَّاتْ

***

وآعلَمْ يا وَلَدِي انَّ عَدُوَّكَ مَلأَ البَرَّ وملأَ البَحْرْ
فَاحْذَرْ أنْ يَمْلأَ نفْسكَ أنْتْ
انْتَهتْ الحَرْبُ إذا احتَلَّ عَدُوُّكَ رُوحَكْ

أوْ أرسَلَ أهْوَاءَكَ تَسْعَى حوْلَكَ
حتَّى دَخلَتْكَ فَهُنْتْ
إذْ عُرِفَ المَدْخَلُ وتَهَاوَى المَدْخُولْ

* * *

كُنْ دِرْعاً للثَّوْرَةِ ، لا كَعْبَ (أخيلْ)
فَسِهامُ الغَدْرِ مُفَوَّقَةٌ لِلْضَرْبْ
والخِدْعَةُ تَوْأمُ رُوحِ الحَرْبْ
والثَّغْرَةُ في الخَنْدَقِ تُغْرِي الفُرْسَانْ
أمَّا ثَغَرَاتُ النَّفْسِ فَتَأْتِي بالطُّوفانْ
أوَ تَدْري كَمْ إنَّ الطُّوفَانَ وَبِيلْ ؟!

* * *

وَاعلمْ يا وَلَدِي انَّ الثَّوْرَةَ
تَعْبُرُ في اليَوْمِ الواحِدِ أرْبَعَةَ فُصُولْ
تَخْتَصِرُ الزَّمَنَ ، وَتَهْتِكُ أسْتَارَ المَجْهُولْ
تَحْتَاجُ رُؤُوساً لا تَسْكَرُ مِنْ أوَّلِ كَأْسْ

فَاحْذَرْ إنْ كُنْتَ خَفِيفَ الرَّأْسِ
وَعُتِّقَ لَكَ خَمْرُ السُّلْطَهْ
زُيِّنَ لَكَ أنْ تَلْعَبَ بالنَّاسِ
وتَرْكَبَ أرْواحَ الشُّهَداءْ
فالعَرَضُ يَزُولْ
لا يَبْقَى إلاَّ وَجْهُ الحَقِّ
وَكَفُّ القُدْرَةِ ، وَدِمَاءُ الشهداءْ

* * *

مَنْ يرْكَبْ رُوحَ شَهِيدٍ لَمْ تُحْمَدْ عُقْبَاهْ
فالمَرْكَبُ وَعْرٌ ، والمُنْقَلَبُ سَرِيعْ
أوْ يَشْرَبْ دَمْعَ يَتِيمٍ زَادَ ظَمَاهْ
والغُصَّةُ قاتِلَةٌ والسُّمُّ نَقِيعْ
الثَّوْرَةُ مَعْصَرَةُ الآلامْ
يَأْتِيها النَّاسُ فَيَعْتَصِرونَ القَلْبْ
والوَيْلُ لِمَنْ يَسْرِقُ هذا القُرْبَانْ

* * *

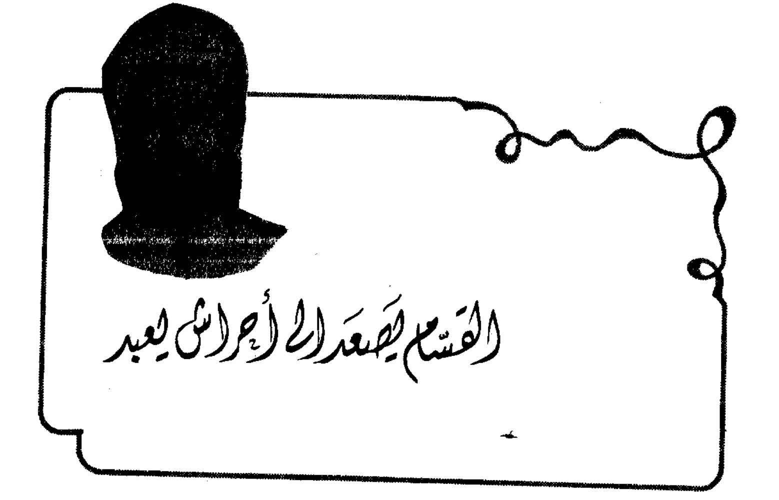
واعلمْ يا ولدي أن الثورة ميلادُ الإنسان
والنصرَ حصادُ الغَرْسِ الطيبِ
مَوْهُوباً لِلْحقْ
لَنْ تَنْتَصِرَ الثَّوْرَةُ إلا بالصِّدْقْ
واذا انْتَصَرَتْ بالسَّارِقِ والخَائِنِ
كَانَتْ بِدْعا
وانْقَضَّ لُصُوصُ الأَمْسِ على جَوْهَرَةِ الحُكْمْ
وَاقْتَتَلُوا حَتَّى مُزِّقَ شَمْلُ النَّاسْ
وانْسَفَحَ عَلَى الأَرْضِ الوَهْمُ المَغْسُوْلْ
ما نَفْعُ الثَّوْرَةِ إنْ لَمْ تَصْنَعْ زَمَناً يَجْدُرُ بالإِنْسَانْ
وَتَصْنَعْ إنْسَاناً يَجْدُرُ بالنَّصْرْ .

***

المَاضِي مَدْرَسَةُ الحَاضِرْ
والثَّوْرَةُ مَدْرَسَةُ الدَّوْلَه
والطَّالِبُ سِرُّ مُعَلِّمِهِ
فَانْظُرْ حَوْلَكَ مَاذا تُبْصِرْ

أبْصِرْ حَوْلَكَ ماذا تَنْظُرْ
وإذا آشْتَبَهَتْ دَرْبُكَ فارْجِعْ
مِنْ حَيْثُ بَدَأْتَ وَلا تَجْزَعْ
فالثَّوْرَةُ عِلْمٌ بالتَّجْرِيبِ
وبالمَعْلُولِ وبالعِلَّهْ
فَاصْبِرْ نَفْسَكَ لِتَعَلُّمِهِ
تَعْرِفْ أعْمَقَ .. تَعْرِفْ أوْسَعْ

***



يَعْبَدْ . . . .

كَلِمَةُ سِرٍّ المَوْعِدْ

يَعْبَدْ . .

خَفَقَاتُ القَلْبِ المُتَمَرِّدْ

يَعْبَدْ . .

فُرْسانُ الغابِ المُتَوَحِّدْ

قَدْ صَدَقَ الواعِدُ والمَوْعودُ

فَهاتوا الطَّلْقَ مَعَ البارودْ

وجُوبُوا القِمَّةَ والأُخدودْ

ثَوْرَه !
القَهْرُ وَقُودُ التَّنُّورِ ،
وَنكْهَتُهُ في خُبْزِ الفَلاَّحْ
مُرَّه .
في خُبْزِ الرِّيفِ عَجِينُ الذُّرَةِ
يُخَالِطُهُ حِنْظَلُ « بَلْفورْ » .
مَنْ قالَ لَهُ يَزْرَعُ في المَرْجِ وفي البَطُّوفْ
هذا الطَّلْعَ كَرَأْسِ الشَّيْطانْ
إنَّا نَزْرَعُ شَجَراً أبَدِيَّ الخُضْرَةِ
نَسْقِي الأَرْضَ
نَصُونُ العِرْضَ
نُصَلِّي الفَرْضَ
وَلَكِنْ . . مِنْ أيِّ جَنَىً نَأْكُلُ
في عَقِبِ نهارِ الآلامْ ؟
نَأْكُلُ مِنْ قَيْءِ الهِجْرَةْ ؟
نَأْكُلُ مِنْ سَوْطِ السُّخْرَةْ ؟

نَأْكُلُ مِنْ قِشْرِ لِحَاءِ الشَّجَرَةْ ؟
نَأْكُلُ مِنْ عَظْمِ الأَجْدَادِ
وَمِنْ ذَوْبِ قُلُوبِ الأَحْفَادْ ؟
لا . . لا . .
لَنْ نَأْكُلَ إلاَّ خُبْزَ الرِّيفْ
وَثِمَارَ البَلُّوطِ المَنْسِيَّةَ في يَعْبَدْ .

***

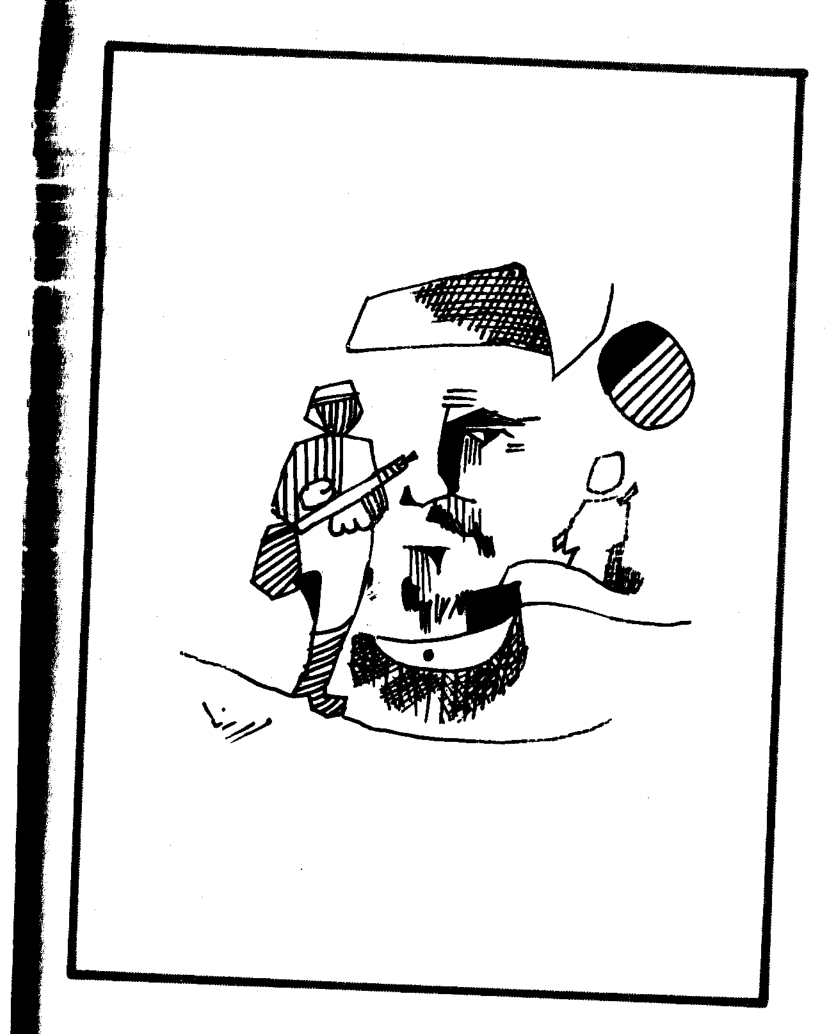
ـ هَبْ أنَّ البَارُودَ قَدِيمٌ
وَرِياحَ الغَابَةِ كَالمِبْرَدْ
ـ أمَّا البَارُودُ فَنَصْنَعُهُ
والرِّيحُ القارِسُ نَدْفَعُهُ
نَحْنُ الثُّوَّارْ
السَدُّ أمَامَ المَدِّ البَحْرِيِّ
وَقُرْصَانِ الغَزْوِ التَتَرِيّ
إخْوَتُنَا رَهْطٌ في الآثَارْ
أمْ مُخْصِيَةٌ وَلَدَتْنَا وَهِي فِلِسْطِينْ

أُمُّ الثُّوَّارْ
وأَبٌ واحِدُ
وَهُوَ التَّارِيخُ وَزَمنُ الفَتْحْ
ـ هَبْ أَنَّ عدُوَّكَ ما غَابَتْ شَمْسٌ عَنْ مَفْرِقِ أَمْلاكِهْ ؟
ـ أمَّا الأَفلاكُ فقَدْ تَسْطَعْ
في قَبْرِ المُؤْمِنِ إنْ يُصْرَعْ
نَحْنُ الشُّهَداءْ
صَلَّى مَوْلانَا الشَّيْخُ عَلَيْنا مُنْذُ أَخَذْنَا العَهْدْ
ضِقْنَا عَيْناً بالشَّمْسِ وبالخُبْزِ اليَوْمِيِّ
وفَتَّحْنَاها في قُدْسِ النُّورِ الكُلِّيِّ
فَمرْحى للفَتْحِ وللنَّصْرِ
ولا أسفاً لَوْ نُسْتَشْهَدْ
ما نَحْنُ بِأَحْجَارٍ تُلْقَى في غَيْرِ قَرَارْ
إنَّا نَصْعَدْ
أَرْوَاحاً لَمْ تَثَّاقَلْ للأَرْضِ
خَفيفٌ مَسْرَاها بَيْنَ الأَمْسِ وبَيْنَ الغَدْ

أَرْواحاً تُشْبِهُ عُودَ النَّدْ
تَحلَّقَ في جوِّ الحُجْرَةِ زَمناً وانْداحَ
وخَلَّفَ عِطْراً
خَلَّفَ ذِكْراً
ما نَحْنُ بأَحْجَارِ
ما نَحْنُ دَوَابٌ حَمَلَةُ أَسْفَارْ
نَحْنُ الشُّهَدَاءْ
قُولُوا لِلمَنْدُوبِ السَّامي
يَبْرِقْ بَلْفُوراً بالأَنْبَاءْ
في الثَّاني مِنْ تِشْرِينَ الثَّاني
تُذْكَرُ بالشَّيْءِ الأَشْياءْ
فَتَسَاقَطْ يا وَرَقَ الشَّجَرِ الحُرْشِيِّ
وَأَسْقِطْ ذَاكَ الوَعْدَ الأَسْوَدَ
للشَّيْلوكِ الصَّهْيُونيِّ
سَيَهْطُلُ مَطَرٌ يُحْيِيكَ مِنَ الرِيِّ
وَيغْسِلُكَ مِنَ الخِزْيِ

تَغسَّلْ يا شَجَراً يشْتَعِلُ بِلا نارْ
يا أَقْدَمَ مِنْ عَهْدِ الشَّرْقِيِّ وعَهْدِ الغَرْبِيِّ
ويا مِشْكَاةَ اللَّهِ على الأَسْحَارْ
ما السَّجْدَةُ إلا شُبَّاكٌ نَجْلو فيهِ وَجْهَ الرَّحْمٰنْ
والطَّلْقَةُ أيضاً تفْتحُ بابَ الرُّؤْيَةِ
إنْ صَحَّتْ فيها النِيَّة
وكَذٰلِكَ قَالَ القَسَّامُ القُنْبُلَةُ
وفي قَوْلٍ آخرَ حَقْلُ الأَلْغَامْ
إنْ حلَّتْ في شِبْرٍ مِنْ هٰذي الدَّارِ الكُفَّارْ
مَوْلايَ الشَّيْخُ ـ تَعالَى مِنْبَرُهُ ـ
رِكِبَ الكَلِمَاتِ وصَيَّرها خَيْلاً بيضاءْ
مِنْ شَاشِ عَمَامَتِه جَدَلَ الأَرْسانَ لَهَا
وَرَبَطَها في ساحَاتِ الفَلاَّحينَ
فما لَجَمُوها
ما شكَمُوها
خَيْلُ القِمَّةِ يعْرِفُها أهْلُوها

خَيْلُ الصُّبْحِ وَتَعْرِفُها حِطِّينْ
يَعْرِفُهَا المُعْتَصِمُ المُنْجِدُ
في زَمَنِ الصَّيْحَةِ قَبْلَ قُرُونْ
هٰذا زَمَنُ الصَّيْحَةِ يَتجَدَّدُ
هٰذا المُنْجِدُ
هٰذي خَيْلُ المُعْتَصِمِ تُحَمْحِمُ في يَعْبَدْ
أتَرى يا شَيْخُ سُيُوفَ صَلاحِ الدِّينْ ؟
أتَرى حِطِّينْ ؟
الشَّيْخُ يَقُولُ : أَرَى شَجَرا
وأَرَى مَطَرَا
وأَرَى شَلاَّلاً مُنْهَمِرَا
وأرَى تارِيخاً مُنْتَصِرا
يَأْتي مِنْ خَلَلِ ضَبَابٍ وَرُكَامٍ
وَتَمزُّقِ أَعْلامٍ
وَتَكَسُّرِ أَقْلامٍ
وَتَقَطُّعِ أَرْحامٍ



وَتَبَدُّلِ أَزْمانٍ

وَتَصَارُعِ أَجْيَالْ . .

* * *

فَاضْرِبْ يا شَيْخُ وَشُدَّ زِنَادا

أَشْعِلْ فِي شَجَرِ الزَّيْتُونِ سِرَاجاً وَقَّادَا

خَلِّ السَّارِي يُبْصِرْ

مِنْ سَهْلِ السَّاحِلِ حَتَّى غَوْرِ الدَّاخِلْ

بَعْضُ الخَلْقِ مَنَائِرُ

بَعْضُ الخَلْقِ مَشَاعِلْ

خَلِّ السَّارِي يُبْصِرْ

خَلِّ الغَافِلَ يَسْأَلْ

خَلِّ السائِلَ يَتَمَلْمَلْ

خَلِّ المُتَمَلْمِلَ يَزْحَفْ وَيُقَاتِلْ

مِنْ سَهْلِ السَّاحِلِ حتى غَوْرِ الدَّاخِلِ

خَلِّ النَّاسَ مَشَاعِلْ

إِنَّكَ يا شَيْخِي زَيْتُ القِنْدِيلِ

جِراحُكَ إنْ سالَتْ لا تَعْقِدْها بالمِنْديلِ
فَبَعْضُ الجُرْحِ هُتَافٌ
بَعْضُ الجُرْحِ نَوَاقِيسٌ ومَآذِنْ
فاضْرِبْ .
هذا زَمَنُ الحَقُّ الشَّاهِرِ سَيْفا
لا خَيْرَ اذا لَمْ يَشْهَرْ حَقٌ سَيْفا
وَاطْعَنْ عَيْنَ التِنِّينِ الزَّاحِفِ نَحْوَ الأَقْصى
يا أَقْصى . .
يا قِبْلَتَنا الأُولَى
يا قُبْلَةَ رَبٌّ الكَوْنِ على جَبْهةِ أَرْضٍ بارَكَها
جَبَلاً . . سَهْلا . .
إمرأةً . . رَجُلا . .
يا مِعْرَاجَ رَسُولِ اللهِ إلى المَلإِ الأعْلَى
أُعْطِيكَ دَمِي
في مِصْبَاحِكَ للسَّاهِرِ فَوْقَ صحائِفِهِ
يَتْلُو آياتِ النُّورِ

بَيَاناً مِثْلَ الصُّبْحِ
وبُشْرَى مِثْلَ الفَتْحْ
يا أَقْصَى
يا عَلَمي
أَفْسِحْ لي في صَحْنِكَ يَوْمَ الجُمْعَةِ مَوْطِيءَ قَدَمِ
ها أَنا جِئْتُ إِلَيْكَ
تُسَابِقُ رُوحِي قَدَمي
وَيُسَابِقُ سَيْفي قَلَمي
ها أَناْ جِئْتُ إِلَيْكَ
فِجَاجُ الأَرضِ دُرُوبٌ نَحْوَكَ
كُلُّ العَالَمِ يَدْفَعُني
يا وَطَني
أَفْسِحْ لي في صَدْرِكَ مأْوَى يَحْضِنُني
أَوْ مَثْوَى يَدْفِنُني
يا وَطَني
يا ثَدْياً أَرْضَعَني

وَرَفيقاً لاعَبَني

وَحَبيباً عانَقَني

يا رُوحي . . يا بَدَني

يا وَطَني . . يا وَطَني

دَعْ مِنْ أَزْهارِكَ زَهْراً مَيَّاساً

يَتَخَلَّلْ وَجْهِي في لَحَظاتِ الخَطَرِ

حَتَّى أَضْحكَ بِحَنَانٍ مِنْ هٰذا الطِّفْلِ اللاَّهي

دَعْ مِنْ بَحْرِكَ مَوْجاً وَشْوَاشاً

يُنْشِدْ أُهْزُوجَتَهُ الأَبَدِيَّةَ

في ساعَةِ نَوْمي

حَتَّى أَحْلُمَ أَنِّي وَالشَّمْسِ أَنَامُ عَلَى مَهْدِ

يا وَطَني :

ما شَمْسُكَ كالشَّمْسِ

ولا نَجْمُكَ كالنَّجْمِ

ولا قَمْحُكَ كالقَمْحِ

ولا صُبْحُكَ كالصُّبْحِ

ولا بَحْرُكَ كالبَحْرِ

ولا زَهْرُكَ كالزَّهرِ

***

أَنَا دِيكَ بِصَوْتِي وَبِصَمْتي

بِحَيَاتي وَبِمَوْتي

يا وَطَني

يا وَطَني

***

يَعْبَدُ . . يَعْبَدْ

صَخْرٌ وَرَصَاصْ

وَخُطَى قَنَّاصْ

في لَيْلٍ أَسْوَدْ

وَنَهَارٍ أَرْبَدْ

***

يَعْبَدُ . . يَعْبَدْ

صَمْتٌ مَحْمُومْ

وَسُهَادُ نُجُومْ
وَظِلالٌ تَمْتَدْ
في أَقْصَى المَشْهَدْ

***

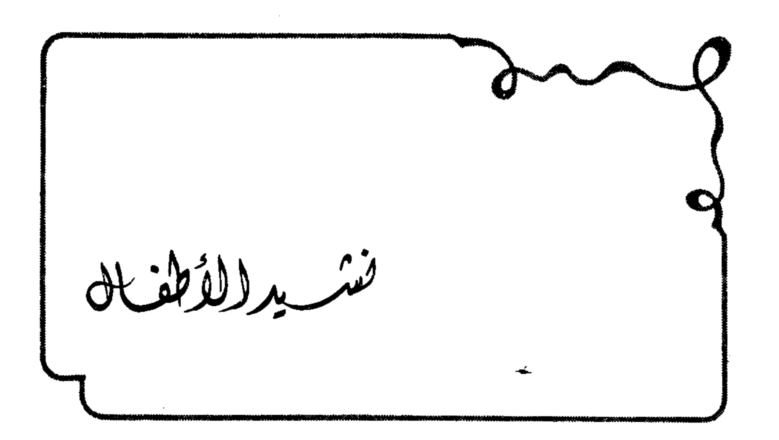
يَعْبَدُ . . يَعْبَدْ
جُرْحٌ وَنَزِيفْ
وَرِياحُ خَرِيفْ
وَرَطَانَةُ مُحْتَدْ
مِنْ سُكْرٍ عَرْبَدْ

ساعة الشهادة

زَغْردَةٌ في صَدْرِ القَسَّامْ
لم يَشْعُرْ في آخِرِ خفقه
هل كانتْ حورياتُ جنانْ
تطلقُها ؟
أم كانتْ طلقة ؟

***

للطِّينِ الأخصبِ كانَ يطيرْ
في برِّ الشامْ
علمٌ لا تطويه الايامْ
ويشيعُ نداءً للتحريرْ



الموتُ كرامه

في عز الدينْ

والصدق علامه

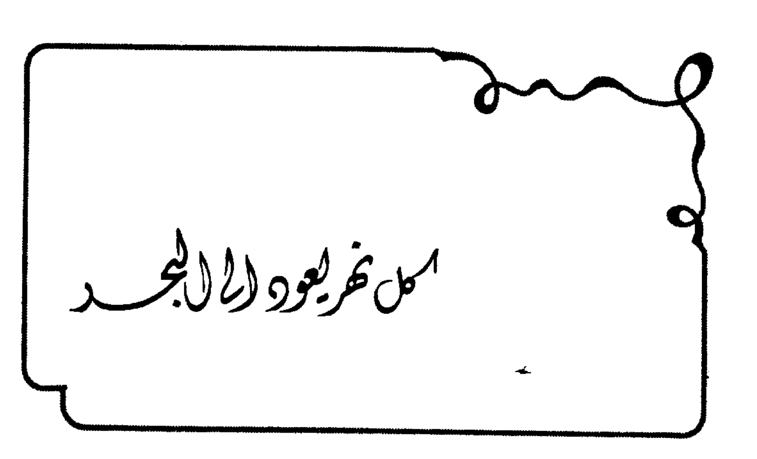
للوطنيينْ

والحق عمامة

في الحربِ تزينْ

جنداً مقدامَه

وفدائيينْ



الى عبد الكريم السبعاوي وقصيدته : كل المدائن فيها مقاه على البحر .

كلُّ نهرٍ يعودُ الى البَحْرِ
بَعْدَ السواقي ، وزقزقةِ الطيْرِ
بَعْدَ المسافاتِ
بَعْدَ المحطَّاتِ
يرجعُ للبحرِ ، يرجعُ للبحرِ ، يرجعُ للبحرْ

***

كلُّ طينٍ يعودُ الى الطينِ

بعدَ العواصِفِ والحَرِّ والبَرْدِ
والقُرْبِ والبُعْدِ
والسَّهْلِ والنجدِ
يرجعُ للطين ، يرجعُ للطينِ ، يرجع للطينْ

***

وأنتِ فلسطينُ
موجُكِ قَبْلي وبَعْدي
وطينُك مَهْدي ولحدي
ولستُ أطيقُ ، ولستِ تطيقينَ
أنْ لا اعودَ الى البحرِ
ان لا اعودَ الى الطينْ

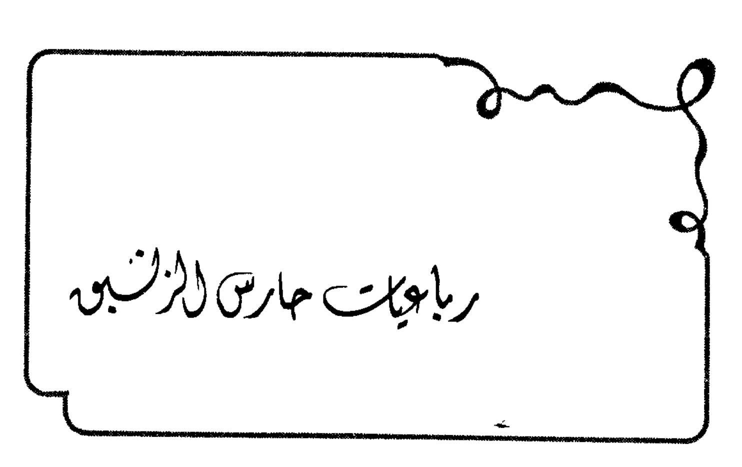
القدس

علـى جبـلِ الزيتـونِ كانـتْ لنـا الـدُّنيا
فَسُـقْيا لأرض القـدسِ من جَنَّـةٍ عُلْيا
وسُـقْيا لعهـدِ القُـدْسِ عهـداً محبَّبـا
وسـقيا لأهـلِ القُـدْسِ إنْ عزَّت اللُّقيا
وللسُّـورِ من حولِ المـآذنِ والحمـى
وللـدُّورِ والأجـراسِ في ظِلِّهـا سُقْيا
وللشَّـفَقِ المنثـورِ فوقَ قُبابِهـا
وللعَبَـقِ المـذرورِ عطـراً ربيعيًا
وفـرطِ بهـاءً في حجـارةِ ارضِهـا

ولونِ تُرابٍ قد تخالُ به وَشْيا
فكيفَ بأهليها ، وهُمْ أسمَحُ الورى
وأعرقُهُم أصْلاً وأشرفُهم سَعْيا
إليْها تناهى الطُّهْرُ والبشْرُ والتُّقى
وبَاركَهَا في الوحيِ مَنْ أنزلَ الوَحْيا
عشيَّةَ أسْرى بالنبيِّ وفُتِّحَتْ
من القُدْسِ أبْوابٌ ليرقى لها رَقْيا
وربُّكَ أدرى حيثُ يفتحُ بابَهُ
ويعلمُ أيَّ الأرضِ أطهرُها أيَّا
معالمُ كالاحلامِ ، لم ينطبِقْ على
مثيلٍ لها جَفْنٌ ولا حلَّقَتْ رُؤْيا
نَعِمْتُ بها في عُمْرِ عَيْنَيَّ طَرْفَةً
فكانت هيَ العمرَ الجميلَ لعينيًّا
أقولُ وقد ناحت بقلبي حمائمٌ
اذا لم أعُدْ للقدسِ لا كانت الدنّيا

***

ولمَّا رأيتُ الدربَ طالَ ودونَنَا
معاركُ مَدَّ الأُفْقِ والسَّدُّ ناريًّا
همزتُ حصانَ النارِ في حُلْكَةِ الدُّجى
وَيمَّمْتُ شَطْرَ القدسِ أطوي المدى طيًّا
فإنْ أحترِقْ اني لأهونُ حُرْقَةً
من المسجدِ الأقصى وقد باتَ مسبيًّا
وهمُّ صلاحِ الدينِ همِّي ، وخيلُهُ
ركابي ، وان كانَ الزمانُ صليبيًّا



الى الفدائي المطارد داخل الأرض المحتلة . الى عيون ماهر البورنو ورفيق السالمي

١ . بعد الغياب

حَذِراً كاللِصِّ آتــي دارَ جدِّي
خالعــاً نعلــيَّ في شوْكِ الطريقْ
أتَقَــرَّى موضعــاً أدريه وحدي
دفَنَــتْ كفــي به سيفــي العتيقْ

ليسَ مثــلَ الأرضِ من يكتُــمُ سرًّا

فاحفظي قيلولتي حتى المغيبْ
فاذا أسدلَ عتّمُ الليلِ سِتْرا
قمتُ والسيفُ ، وفي الفجرِ نؤوبْ

خيرُ ما سربَلَني الليلُ البهيمْ
ودعاءُ الأمهاتِ الساهراتْ
فاذا رافقتُ رافقتُ النجومْ
وتنفستُ عبيرَ الذكرياتْ

ها هنا مسقطُ رأسي هدموه
وهنا ملعبُ أترابي الصغارْ
وهنا قبرُ شهيدٍ قتلوه
باسماً وهو يغنّي للنهارْ

٢ . الصيد

انا صيادٌ ، وما صيدُ الغزالْ
مهنتي ، لكن سحبتُ القنبلهْ

وعلى دبابةٍ للاحتلالْ
طِرتُ اصطادُ رؤوسَ القَتَلَهْ

أنا صيّادٌ ، وما صيدُ الفراءْ
مهنتي ، لكن سحبتُ الخنجرا
وتربّصتُ بسفّاكِ الدماءْ
وسقيْتُ الأرضَ منه مطرا

أنا صيادٌ ، وما صيدُ الحُجولْ
مهنتي ، لكنْ سحبتُ اللُّغُما
ونصبتُ الفخَّ ما بينَ الحقولْ
وتصيّدْتُ غراباً أشأما

أنا صيادٌ ، وما صيدُ السمكْ
مهنتي ، لكنْ سحبتُ المِدفَعا
ونسجتُ النورَ والظلَّ شَبَكْ
لفصيلٍ من غزاةٍ وَقَعا

٣ . انتظار

يا غريبَ الـدارِ عُدْ قَبْـلَ الصباحْ
تلقَنـي بين زهـورِ الزنْبقِ
احـرسُ الأعـوادَ من لفْـحِ الرياحْ
وطـوافِ الأشعَبـيِّ السَّارقِ

انمـا الزنبـقُ إكليلُ العروسْ
في زفـافٍ يرقُـبُ الحـيُّ طبولَهْ
حينمـا يرجـعُ منْ خلفِ الشُّموسْ
فارسٌ عَوْدَتُـه عُرْسُ البطولةْ

يا غريبَ الـدارِ عُدْ قبـلَ الضحى
تلقنـي بين غصـونِ البرتقالْ
احـرسُ اللؤلـؤَ زهـراً فتَّحا
وأسـوِّي منـهُ عِقْـداً في الظِّلالْ

فاذا جاءتْ اماسـيُّ القِطافْ
ودعانـا الـرقصُ في ضَوْءِ القَمَرْ
زانَ أجيادَ صبايانـا الرِّهافْ
فتضوَّعـنَ عبيراً وَزَهَرْ . .

يا غريبَ الـدارِ عُدْ قبـلَ الزوالْ
تلقَنـي بين كرومِ العنبِ
يشتهـي الثعلـبُ قُطفـاً لا يُنالْ
وفخاخـي في طريقِ الثعلبِ

أنـا للثعلـبِ سِلْكٌ شائكُ
ويدي أسـرعُ بطشـاً من فَمِهْ
ولئـنْ أغـراهُ ليلٌ حالكُ
فغـداً يسبـحُ في بحـرِ دمِهْ

يا غريبَ الـدارِ عُدْ قبـلَ الأصيلْ

تلقني أجمعُ اعـوادَ الذُرّهْ
قبـلَ ان يحصدَهـا اللصُّ الدخيلْ
ثُمَّ يبنـي فوقَهـا مستعمرهْ

غاصـبُ الاقـواتِ من أفواهِنا
غاصـبُ المـاءِ وغيمـاتِ السحابْ
مالـىءُ كفّيْه من غلاتنا
فمتـى يمـلأُ عينيْهِ الترابْ ؟

٤ . الخلاص

لم أنَـمْ في الليلِ الا ثُلْثَهْ
ساعـةً في كلٍّ قسطٍ تتوَزّعْ
فكأنّـي أتمنّـى مُكْثَهْ
وكأنَّ النجـمَ نحـوي يتطلّع

ليس ليلـي الوجـدَ بل عُمْـقَ الوِصالْ

وشـفيفٌ كزجـاجٍ بَصَرِي
ما يقينـي في جوابٍ أو سُؤَالْ
وانعـكاسٍ في عيونِ البَشَرِ

انـا هذا الإنطـلاقُ الثائرُ
فوقَ ارضٍ لمْ تزلْ تعرفُني
في خطـى الماضـي يسيرُ الحاضرُ
ووراءَ الـروحِ يمشـي بَدَني

أنـا حُرٌّ ليسَ ينفينـي الرَّصاصْ
عن بلادي ، ولَعمْـري ذاكَ حسبي
لم أجِـدْ في غربتـي هذا الخلاصْ
فخلاصـي هو موتـي بيْنَ شعبي



وصايا.. في الزمن الرديء

جَرْجَرْتُ بَيْنَ مَدَافِنِ المَوْتَى خُطَايَ ،
وعُدْتُ أدْرَاجِي إلى دَوَّامَةِ الغَسَقِ ،
(آشْتِعَالي مَرَّةً بَيْنَ النَّيَازِكِ صار ذِكْرَى
قَدْ أُرَدِّدُهَا على مَقْهَى الرَّصيفِ
إذا فَقَدْتُ فَضَائِلِي الأُخْرَى
وَقَدْ أرْمِي بِسَهْمٍ لا يَخِيبُ
اذا نَجَوْتُ مِنَ الخِيَانَةِ . .)
في يَدِي نَهْرٌ

وَأُوشِكُ أَنْ أُضَيِّعَهُ

وَفِي الأَرْضِ اليَبَابِ

خَشَاشٌ ما تَرَكَ الغُزَاةُ

مِنَ الثَّقَافاتِ الهَجِينَةِ

والرِّجَالِ الجُوفِ

فِي أَثْوابِ آلهَةٍ وقَرَّادِينَ :

سَوْطٌ باليَسَارِ

وطَيْلَسَانٌ باليَمِيْنِ

وَصِبْيَتِي خَلْفِي . . .

عِجَافٌ ، مالَهُمْ زَغَبُ الصِّغَارِ ولا بَرَاءَتُهُمْ

عُيُونٌ فوجِئَتْ بالقَهْرِ والزَّمَنِ الرَّدِيءْ

***

ـ أَلا آسقِنَا مَاءً . . .

وعَلِّمْنَا تَعاوِيذَ المَسَاءِ . . .

ـ وَهَبْتُكُمْ للطَّارِقِ المَجْهُولِ !

إِنِّي جاعِلٌ صَدْرِي سِيَاجَ ذُبَالَةٍ ،

تَنْتَابُها رِيحُ الزَّعَازِعِ

والغُيُومُ السُّودُ مِنْ كُحْلِ المَدَافِعِ . . .

ـ أَوْصِنَا بِوَصِيَّةِ الرَّجُلِ المُجَرِّبِ !

ـ لا تَكُونُوا يا بَنِيَّ إِذا آعْتَرَى خَطْبٌ جَمِيعاً !

إِنَّمَا لا تُصْبِحُوا رُمْحَ الغَرِيبْ !!

ولا تَكُونُوا سَادَةً للمَالِ !

لَكِنْ لا يُسَاوِمْكُمْ بِمَالِكُمُ الغَرِيبْ !!!

ولا يُحِبَّ أَخٌ أَخَاهُ !

وإِنَّما لا يَحْتَرِفْ حُبَّ الغَرِيبْ !!

ـ أَتَزْدَرِينَا ؟

ـ لا . . ولَكِنْ أَزْدَرِي عَصْرَ الغَرِيبْ . .

***

جَرْجَرْتُ بَيْنَ صَحَائِفِ التَّارِيخِ أَرْدِيَةَ البَهَاءِ

وَعُدْتُ بالأَسْمَالِ نَحْوَ أَزِقَّةِ الطَّاعُونِ

رَثّاً ،
بالِغاً حَدَّ العَيَاءِ
وحَدَّ بُحْرَانِ الجُنُونِ
فَقَدْتُ حافِظَتي وَذَاكِرَتي عَلَى دَرَجِ المَسَاءِ
غَداةَ شَدَّتْني الجُنُودُ لأَنْظُرَ الإخْوانَ يَقْتَتِلونَ
والأَعْدَاءَ يَعْتَنِقُونَ
واللَّيْلَ البَهِيمَ يكُونُ عِنْدَ الفَجْرِ
والحُرَّاسَ يَخْتَلسونَ
زُرْ ياموْتُ زُرْ
أَوْ يا فَضَاءْ
أَطْلِعْ شُمُوساً غَيْرَ هٰذي الشَّمسِ
في هٰذي السَّمَاءْ .

المخاض العسير

١

حيثُ لا تَلْقَحُ الريحُ الا البَرَدْ
حيثُ لا تَتَلَفَّعُ كُلُّ الوجوهِ بغيرِ الكَمَدْ
تتململُ تَحْتَ الصقيعِ جذورُ النخيلِ الذي كانَ منقعراً
باطنُ الأرضِ أَدْفأُ مِنْ قلبِ فِرْعَوْنِها
فإلى العُمْقِ واتحدي بالترابْ

٢

آلةُ الوقتِ صاحيةٌ في قبورِ الرجالِ ـ الكراسي

الرجالِ ـ الوَرَقْ
الرجالِ ـ الصورْ
الرجالِ ـ العدَدْ
يفتحونَ العيونَ على رقصةِ الدُّمْيَةِ ـ الساعةِ ـ اللَّحْنِ
ثُمَّ يعودونَ للموتِ في العرباتِ الوثيرةِ والغُرَفِ العازلهْ
الصَّقيعُ يُغَطِّي دماً رَشَحَتْهُ الشوارعُ
آخِرُ ظِلٍ يلاحقُهُ ظِلُّهُ غابَ بينَ الأزقةِ
لا صوتَ غيرُ انسيابِ العُصارةِ في نَسْغِ تلكَ الجذورِ العميقةِ
أسْمَعُهُ الآن مُتَّحداً بوجيبِ الترابْ

٣

ـ قَدِّرْ الموضعَ الصُّلْبَ للخطوِ تحتَ المطرْ
ـ لن أجيءَ الى أنْ يكونَ مجيئي قَدَرْ

٤

إنَّ ما تحذرونَ هو القادمُ انشقَّتْ الأرضُ عنهُ ،

وعادتْ لتبلَعَهُ ثم تُطْلِعَهُ كالزلازلْ
إنَّه القادمُ الحقُّ ، جاءَ يُقاتلْ

٥

ليسَ عَنْ عبثٍ يتهتَّكُ الفُ قناعٍ ، وتَشْرُدُ خَيْلٌ عن العَرَباتِ ، ويُسْرَقُ سَيْفُ المدينةِ من مُتْحَفِ المُضْحِكِ المَلَكيِّ ، ويغشى الضُّحى نَعَسٌ كاذبٌ ، ليسَ عَنْ عَبَثٍ يسلخونَ وجوهَ العجائزِ كَيْ يصنعوا شارةً يظهرونَ بها في مآتِمِهِمْ . آلةُ الوقتِ تطحنُهُمْ كَلُّ هذي الطواويسِ ليستْ لها أجنحهْ
في الصباح حَشَتْ صَدْرَها بالهواءِ ، فمادتْ بها الأرضُ واثَّاقَلَتْ . . بعضَ هذا التباهي فما فيكِ الا الهواءُ ، وما انتصبَ الذَّيْلُ الا تكشَّفَتِ الثُّقْبَةُ المُنْكَرَهْ
في المساءِ مشى بينَها عاهلُ المغربيْنِ بَسِكِّينهِ ـ كانَ منتفخاً مثلَها ـ مطمئناً لاختامِ سردابِهِ ولاقفالِ

أهرائِــهِ ولحــرّاسِ آبــارهِ ولأَسْــلاكِ إرسالــهِ . قلقاً
من زوايا الأزقـة في مدنِ الخَـوْفِ ، لا يكْشِفُ
القمرُ الإصطناعيُّ أفكارَها الغامضةْ
بعضَ هذا التباهــي سليلَ القراصنــةِ الغابرينَ .
فما أَنــتَ اقـوى من اليأسِ إنْ بَلَـغَ المُنْتَهـى ، أَوْ مِنَ
الأملِ المُتَلَبِّسِ بالخَوْفِ . ذلكَ زادُ الضحايا وأبنائِهم ،
والطـواويسُ زادُكَ انــتَ ـ هنيئــاً مريئــاً . فَنَــمْ فَوْقَ
ريش الطـواويسِ . نَمْ في بُخــارِ الوليمــةِ . نَمْ فوقَ
جِسْمِ الجريمةِ . هذا هو الشرقُ قَدْ غابتْ الشمسُ عنهُ
لِتسْطَعَ فوقَ مصانِعِك الساهرة .

٦

آهِ يا شرقُ : هَلْ أَرْتَــدي لكَ ثوبَ الفجيعــةِ أَمْ
أَسْتعيرُ قناعَ المساخِرِ ؟
لو كانَ فيكَ رجالٌ أَمــامَ مقاديرِهِـمْ لانتخبــتُ الملاحِمَ
والعرَباتِ . . .

ولو كانَ فيكَ رجالٌ وراءَ مقاديرِهِمْ لَنَشَـدْتُ لتهريجِهِمْ
مَسْرحاً .
لكنْ هُلامٌ هو الشــرقُ . ما فيهِ الا الأميبــا والا
الطواويسُ والشَّمْسُ غاربةٌ واللصوصُ . فما هذِهِ اللعبةُ
الفارغةْ ؟

٧

كَمْ تؤذِّنُ في القَفْــرِ . والمــدُنُ اعتنقــتْ ما تشاءُ
ونامتْ . جَميعُ الدياناتِ مستحدثاتٌ : طُقُوسُ
مخادِعَ ، أحلامُ نَهْشٍ ، معارِضُ شكلٍ ولونٍ ، رُجوعُ
الى البَدْءِ مُذْ كانتْ الروحُ طَيْراً على الغَمْرِ . لم تكن
الكلماتُ . وكانَ دُخانٌ .

٨

انها الكلمة .

شظف الأسئلة

ساغْبِطُ باديةً لم تَمُدَّ النواظرَ
من شَظَفِ الرَّمْلِ الى شَظَفِ الأسئلهْ
الى أينَ تجري المياهُ ؟
وهل سيكونُ الرفاهُ ؟
وكيفَ ستعلو الجباهُ ؟
وجَفَّ اللسانُ ، ولم تنتهِ المسألهْ

***

عن يمينٍ تبيَّنتُ هاويةً

لستُ أسْبِرُ غورا لها
عن يسارٍ تراودني الزلزلهْ
فلأكنْ مستقيماً وأسألْ :
هل ما أراهُ يَرَاعٌ ؟
ام الدربُ مَسْكونةٌ بعيونِ الثعالبِ ؟
هل ذاهبٌ لغدي ؟ أم إلى المِقْصلهْ ؟

***

قلتُ : لم يُعْطِنا الريفُ زُبْداً
فلا أحْسَبُ الريفَ يبخلُ بالشِّعْرِ
هيَّا اعطنا من مواهبِ صفصافكَ
المستريحِ على النهرِ
من ضَحكَاتِ عيونِ صباياكَ
زاداً لاشْعارِنا المقبلهْ
صَدَمَتْني الجَّهَامةُ
يبدو كأنَّ الخريفَ تَرَصَّدَني

شاهراً مِنْجَلَهْ

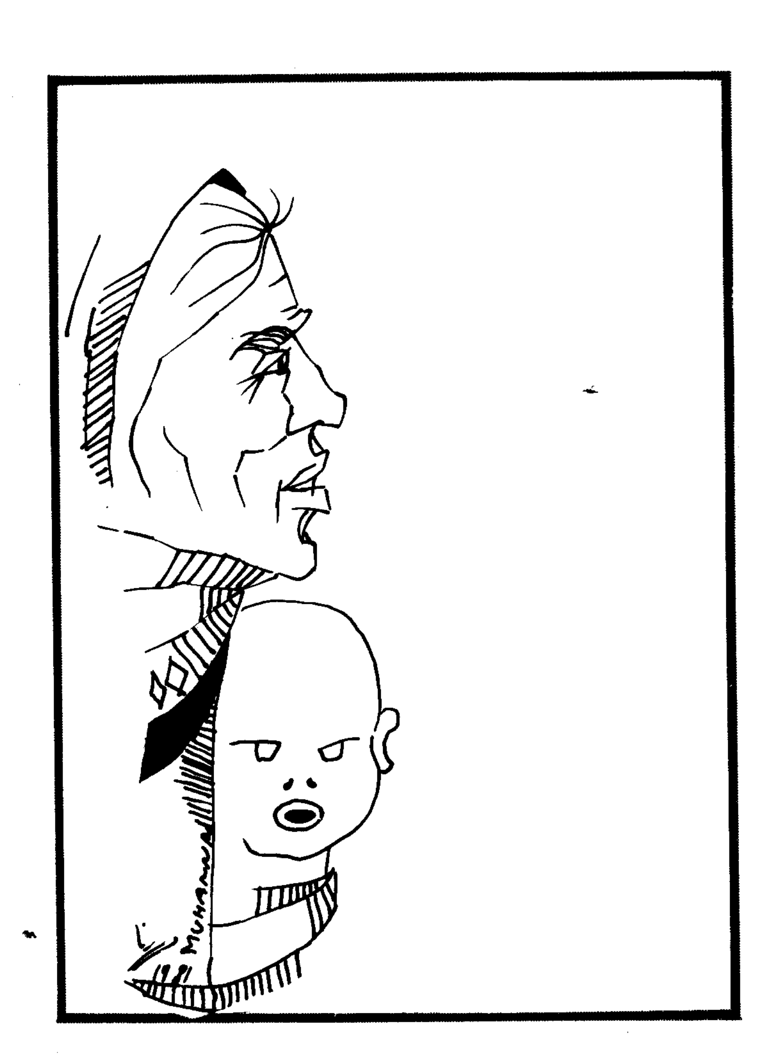
***

سافرتْ بالغلالِ الرَّكائبُ
ممتلئاتِ الزَّكائبِ
سافرَ للغربِ حادٍ وبادٍ
ولمْ يرجِعوا
فَتَفَرَّطَ عِقْدُ المصاطبِ
وانصرفَ الساهرونَ فرادى
وحَشْوُ المسامعْ
نقيقُ الضفادعْ
ونَبحُ كلابِ البيوتِ على
اهتزازِ ستائِرِها المُسْدَلَهْ

***

كانَ سورُ المدينةِ

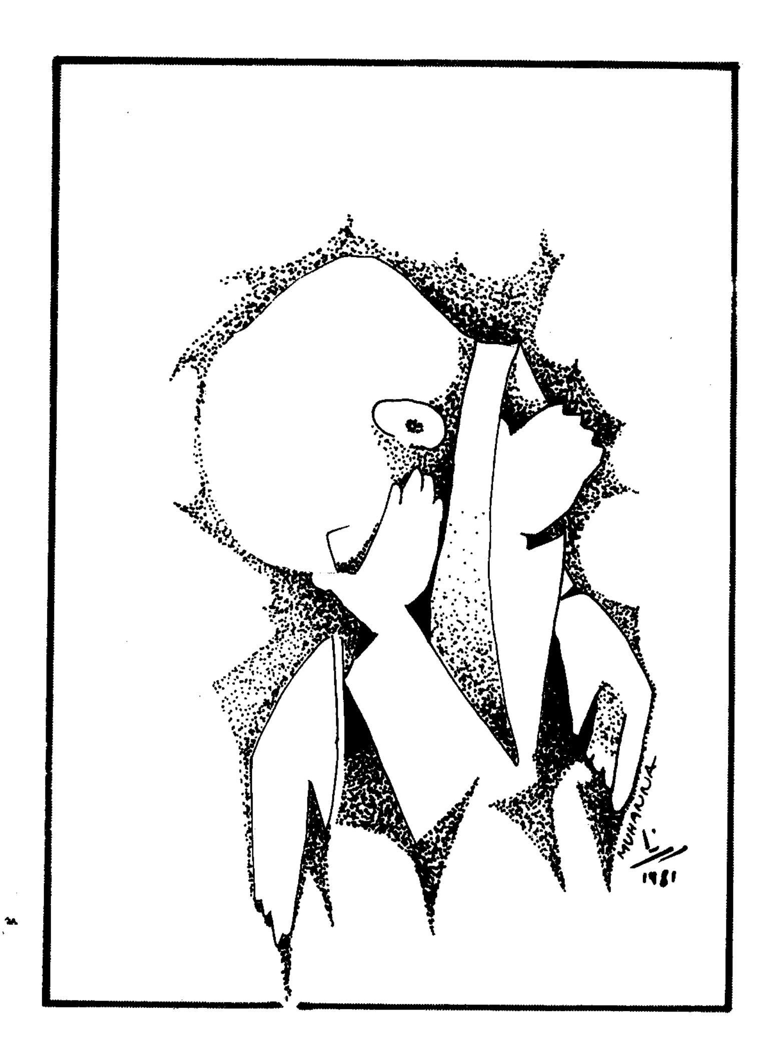
مِنْ تحتِهِ الماءُ
والجندُ يغتسلونَ أمامَ العذارى
حينَ دوَّى النفيرُ
وعَمَّ المدينةَ نهبٌ كبيرْ
فَهَلْ نُقِبَ السورُ
ام سَرَقَ الدورَ لِصٌّ منَ الدورِ
كان المُحَقِّقُ يَلْبَسُ سِرْوالهُ
والخفيرْ
يغمغمُ شيئاً ويهوى
ويُعْلِنُ في سمعِنا مَقْتَلَهْ

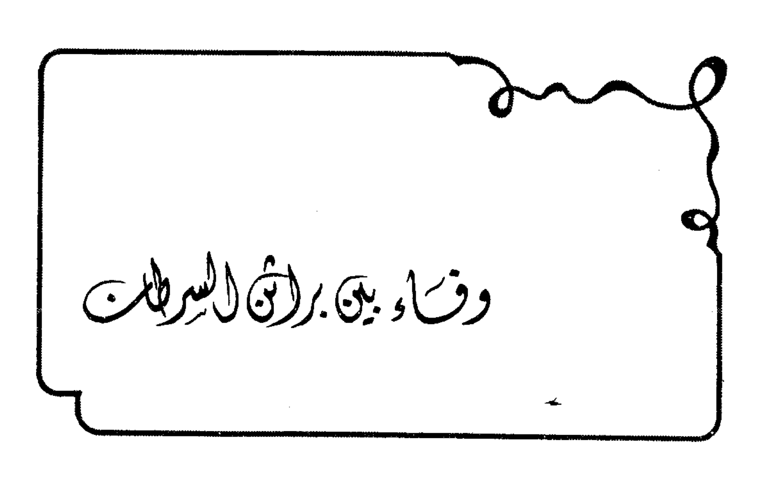


شجن

لِنَبْكِ على احبابِنا الآنَ بعدما
تَبَيَّنَ أنَّ الإغترابَ يطولُ
ونُفْسِحْ لأطيافٍ لَهُمْ في جفونِنا
ونَعْذُرْ مآقي العينِ حينَ تسيلُ
لقد كانَ في الآمالِ شُغْلٌ عن البُكا
وكانَ الى الصَّبْرِ الجميلِ سبيلُ
الى أنْ أَضَلَّ الركْبَ ليلاً دليلُه
وأتْبَعَ وهماً ما عليهِ دليلُ

وَلـجَّ قبيلٌ في عمـايةِ ظَنِّـه
وهـامَ علـى وجْـهِ الفـلاةِ قبيلُ
هنـاكَ تحسَّسْنـا جراحاتِنـا التـي
نسينـا طويلاً ، واستَهَـلَّ عويلُ
ولَـمْ نبـكِ أوجـاعَ الجـراحِ وانَّمـا
رجـالاً لهـا ـ مثـلَ الزمـان ـ فُصُولُ





عَلَى رُدُهَاتِ المَشَافي المُضِيئَةِ وَسْطَ الضَّبَابْ .
سَأَكْتُبُ تذْكَارَ حُزْنِي .
مَتَى كَفَّ هٰذا السَّحَابْ .

***

---

* شقيقة الشاعر ولدت في مدينة غزة سنة ١٩٤٥ . وتلقت علومها الثانوية في مدرسة الزهراء بغزة . وحصلت على اجازة قسم الاداب في اللغة العربية من جامعة القاهرة . كانت شاعرة وأماً صالحة . توفيت من مرض السرطان في مستشفى رويال مارسدن في لندن في ربيع عام ١٩٧٨ .

سَأَكْتُبُ سَطْراً بِفَحْمِ الحَرِيقِ ،
وسَطْراً بأظْفَارِيَ النَّاشِبَهْ .
وَأَمْلأُ جُدْرَانَها الشَّاحِبَهْ .

بِشِعْرِي ، كَصَيْحَةِ وَحْشٍ جَرِيحْ .
يُفَاجِئُهُ ـ وَهْوَ يَطْلَعُ فِي غابَةِ المَوْتِ ـ
غَيْمٌ وَرِيحْ .
يُفاجِئُه بَرَدٌ أَسْوَدٌ يَتَساقَطُ فَوْقَ الجُرُوحْ .

***

سَأَكْتُبُ فَوْقَ (جَنَاحِ الأَشِعَّةِ)
حَتَّى أُصُبَّ شُعَاعَ عُيُونِي
وَفَوْقَ (جَنَاحِ الجِرَاحَةِ)
أَحفرُ بالظِّفْرِ أَوْجَاعَ رُوحِ الحَبِيبَةِ
ثُمَّ أُغِيرُ عَلَى رُدْهَةِ (الكِيمياءِ) ،
فَأَحقنُ فِيها جُنُونِي
وأَبْكِي هُنا وَهُنَاكَ ،

وَمِنْ فَرْطِ قَهْرِي أَصِيحْ

***

سَأَكْتُبُ فَوْقَ جَنَاحِ الأَشِعَّةِ
عَنْ صَمْتِ آلاتِهِ المُفْزِعَهْ
وَمَشْهَدِها المُتَنَكِّرِ بالأَقْنِعَهْ
وَأُلْفَتِها المُسْتَحِيلَةِ بَعْدَ انْقِضاءِ السَّنَهْ
ألا أَيُّهَا البَهْوُ :
إنَّ العَصَافِيرَ فِيكَ تَمُوتُ وَلَيْسَ تُغَرِّدُ
. . . أَنْتَ
قَبِيحٌ .. قَبِيحٌ ..
وَتُشْبِهُ قَبْرًا ، وَفِيكَ بُرُودَتُهُ ،
أَيُّها المَوْتُ : أَنْتَ فَسِيحٌ
فَسِيحْ
أَظُنُّكَ وَارَيْتَها فِيكَ مُذْ دَخَلَتْكَ
وَقَالَتْ سَلاما

وقد أفزَعتْها صرامة هيْبَتِكَ الحجَريَّهْ
وَأَحْسَبُهَا عرَفَتْ خفَقَانَ الفُؤادِ ، وَمسَّتْ بِمِنْديلِها
عرَقاً بارِداً ، وهُنا بَدأَتْ تَتَفحَّصُ مَوْقِعَها كالجُنُودِ
القُدامَى .
إذَنْ لا سَبِيلَ سوى لِلْصُمُودِ ، وخَيْرٌ لِمِثْلِكِ
أَنْ تَتَجلَّدَ ، خَيْرٌ لِمِثْلِكِ أَنْ تَتَجلَّدَ ، خَيْرٌ لِمِثْلِكِ أَنْ
تَحْبِسَ الدَّمْعَ إلا لِماما .
الدَّمْعَ إلا لِماما .
إذا استَنَدتْ في السَّريرِ وعَاوَدَهَا طَيْفُ أطْفَالِها الأَرْبعَهْ .
فَمدَّتْ إلى رَسْمِهِمْ يدَها ، تَتَأَمَّلُ نَظْرَةَ عَيْنِ الصَّغيرَهْ .
ويا ربُّ ! كَمْ هيَ ناعِمَةٌ ناعِمَهْ .
أَلَيْسَ الوُجُودُ مُخيفاً علَى هٰذِهِ النَّظْرَةِ الحالِمَهْ .
ولٰكِنَّها ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ تُزْجِي ابْتِسَاما !!

***

سأَكْتُبُ فَوْقَ جَناحِ الجِراحَةِ عَنْ صفِّ تِلْكَ المَشارِطِ
فَوْقَ صَوانِيِّها

المَعْدَنِيَّهْ .
فيا طَالَما ارتَدَّ مِنْ رَهْبَةٍ بَصرُ النَّاظِرِينْ .
اذا انْشَقَّ بَابٌ وَقَدْ عَبروا مُسْرِعِينْ .
وطَالَعَهُمْ حَدَّ شَفْرَتِها ، يَتَوعَّدُ بالبَتْرِ وَالقَطْعِ ،
بالسَّيْفِ والنَّطْعِ .
كَيْفَ بِغَالِيَتي وَهي جاءَتْ على مَوْعِدٍ ؟!
ثُمَّ تَزْدَرِدُ الرِّيقَ . تَنْطِقُ صُفْرَتُها بانْبِعَاثَةِ خَوْفٍ عَميقْ .
وَحِنْظَلَةٌ في اللَّهَاةِ تَفحُّ بُخَاراً كَريهَ السُّخُونَةِ :
أيُّ المَشارِطِ أرْهَفُ حدًّا ؟ وأيُّ الأَطِبَّاءِ أَثْبَتُ زَنْدًا ؟
وَهلْ يَتَوقَّفُ زَحْفُ العَدُوِّ الضَّرِيرِ الأَصَمِّ إذا قَطعَ النَّصْلُ
ثَدْيَ الأُمُومةِ ؟
أَمْ يَخْتَفي الذِّئْبُ ثُمَّ يَعُودُ بِنَابٍ أَحَدّ ، لِيَنْهَشَ ، يَنْهَشَ ،
يَمْتَدَّ ، يمْتَدْ ؟ رَبَّاهُ ! ما هٰذِهِ الظُّلُماتُ ؟ وهٰذي الأَسِرَّةُ
والهَمَسَاتْ ؟
وَخَجْلَى هيَ الشَّمْسُ خلْفَ النَّوافِذِ أَشْرَقَ مِنْها شُعاعٌ
وَغابَ شُعَاعْ .

نَهارٌ مُلَفَّقٌ
ولَيْلٌ مُؤَرَّقٌ .
وَقُبَّرةٌ لا تَطِيرُ .
تَعلَّقَ مِنْها الجَناحُ بِشَوْكِ السِّياجْ
تَعلَّقَ بالحائِطِ الجَهْمِ ، والسَّقْفِ ، والمَزْهَرِيَّاتِ ،
والقَطَراتِ ولَوْحِ الزُّجاجْ .

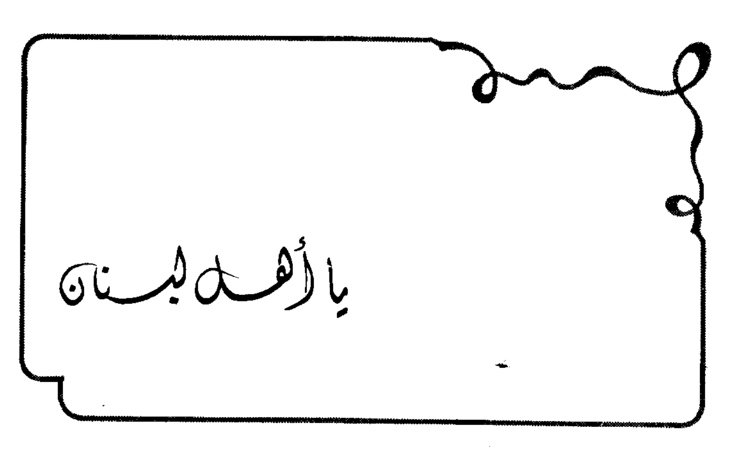
***

سأَكْتُبُ في رُدْهَةِ الكيمياءِ عَنِ الإبَرِ المُسْتَدِقَّةِ ،
مَصَّاصَةِ الدَّمِ ، كُلَّ صَباحٍ وكُلَّ مَساءْ .
عَنِ الوَخْزِ في الغَفَواتِ القَصيرَةْ .
وَعَنْ قَطَراتِ المَحاليلِ ، إذ تَتَنَزَّلُ في عِرْقِها قَطْرةً
قَطْرةً ،
تُوهِنُ الصَّخْرَ والصَّبْرَ والسَّاعِدَ المُرْتَهَنْ .
وتَصْلُبُها لِتُكابِدَ ـ بَعْدَ الذي كابَدَتْهُ ـ صِراعَ الزَّمَنْ .
كأَنَّ الثَّوانِيَ أَدْرَكَها الدَّاءُ فانْتَفَخَتْ وَرَماً ، طَفَحَتْ
بِالبُثُورِ ،

وَعَلَّقَها مارِدٌ في الهَواءْ .
وَدَبَّتْ عَلَيْها نِمالٌ ضَرِيرَةْ .
تَدُورُ على حافَّةِ الغَثَيانِ ، وتَسْقُطُ فَوْقَ بَياضِ المَلاءَةِ ،
مَوْجَ خَواطِرَ سَوْداءَ قادِمةً في كَفَنْ .
سِتارُ النِّهايَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ الصَّفاءْ
إذا هَدَّ فَأْسُ العَذاباتِ سِجْنَ البَدَنْ .
ولاحَ الضِّياءْ . .
ـ هُوَ المَوْتُ .
ـ لَوْ أنَّهُ المَوْتُ !
ـ لكنْ مَتَى ؟
ـ أَقْبِلُوا يا أَهالِي السَّماءِ ، ولا تَمْكُثُوا في الغُيُومِ .
تَعالَوْا الى مَنْ تَمُدُّ لَكُمْ يَدَها . .
أَقْبِلوا بالعَزاءِ . . العَزاءِ . . العَزاءْ .

***

وَداعاً وَفاءْ .



الى نعمت ، ورفاه ، وضياء والآخرين . .

لقــد يَزيدُ الحيا ، أَوْ تَنْقُصُ الــدِّيَمُ
وأهــلُ لبنــانَ يُنْبــوعُ العَطــاءِ هُمُ

ما جاوروا البَحْــرَ الا عَنْ مُشَابهــةٍ
ولا السَّمــاءَ سوى أنْ حَلَّقــوا وَسَمُوا

إذا أَقامــوا جَرَتْ بالخيرِ أَوْدِيةٌ
او سافــروا فرســولُ العِــزِّ سَفَرُهُمُ

أَهــلُ الجمــالِ وأَهْــلُ الفَــنِّ أَعْشَقُهُــمْ

وأستحي خَجَلاً مما أَصابَهُمُ

العاصفاتُ سَمومٌ في حدائِقِهِمْ

والنارُ تَغْشى مغانيهِمْ وتَضْطَرِمُ

أمْسَتْ خرائبَ أشباحٍ مرابِعُهُمْ

وحيثُ وجَّهْتَ بيتٌ ثَمَّ مُنْهَدِمُ

ولَيْلُ اطفالِهِمْ كابوسُ مجزرةٍ

وصُبْحُ آبائِهِم خُبْزٌ عليهِ دَمُ

أخْلى الشوارعَ قَنّاصون ، طَلْقَتُهم

هي القضاءُ ، فلا نقضٌ لما حكَمُوا

وصَفَّرَ الموتُ طيراً غامضاً ، فهوتْ

ضحيةٌ لَقَفتها الرِّيحُ والعَدَمُ

وزمجرَ الموتُ رَعْداً ، ثُمَّ صاعقةً ،

فمادَ صَرْحٌ أذابتْ سَقْفَهُ الحِمَمُ

مياسِمُ الحَرْبِ في الجدرانِ شاهدةٌ

ما أبشعَ الحربَ ما تجني وما تَسِمُ

وكَفُّ صهيونَ لم تَبْرَحْ تؤجِّجُها

وليسَ يُعْوِزُها كيرٌ هنا وفَمُ

ففي الجنوبِ سعيرٌ من تغيُّظِها

وفي الشَّمالِ حريقٌ ليسَ يَنْحَسِمُ

والقلبُ بيروتُ مصلوبٌ على خَشَبٍ

مِنْ مزقتين ، و« باراباسُ » يَبْتَسِمُ

مدينةُ البَحْرِ والتاريخِ ساهمةٌ

يَهُزُّ وجدانَها الخُذْلانُ والألَمُ

وحيدةً واجهتْ أقدارَ أُمَّتِها

سداً حماهُمْ من الطوفانِ لو عَلِموا

لمَّا تنصَّلَ اخوانٌ لها حَمَلتْ

راياتهمِ ، وأبتْ أنْ يسقُطَ العَلَمُ

***

يا اهْلَ لبنانَ : هَلْ يكفي لِمَعْذِرتي

بأنَّ حظّي من الأقدارِ حَظُّكُمُ

قالوا : غريبٌ . فأينَ الأقرباءُ اذنْ ؟

وهل يُميطُ الأذى ان تُقْطَعَ الرَّحِمُ ؟

وقيلَ : بلْ طامعٌ يبغي لَهُ وطناً
سوى فلسطينَ ، إنَّ الإفكَ ما زعموا
حفظتُ لبنانَ ، في قلبي محبّتَهُ
لكنْ أضيقُ به لو تُبدَلُ القِسَمُ
فديتُهُ وطناً للشَّمْسِ مزدهراً
مخضوضراتٌ بهِ الأدراجُ والقِمَمُ
قيثارةُ الريحِ عزْفٌ في صَنَوْبَرِهِ
يجيبُها من أعالي أرْزِهِ النَّغَمُ
فَكُلُّ وادٍ زَهَتْ اعطافُهُ طَرَباً
وكُلُّ حبةِ رَمْلٍ صَمْتُها حُلُمُ
ذكرتُ غَزَّةَ في صيدا ، وأسعفَني
في قِمَّةِ الأرْزِ ريحُ القُدْسِ والنَّسَمُ
وما فلسطينُ إلا قِبْلَتي ودَمي
وجِلْـُ وجهي وعهدُ العُمْرِ والقَسَمُ
هي المنارةُ تهديني الى قَدَري
وإنْ احاطتْ بِيَ الأنْواءُ والظُّلَمُ

دربي طويلٌ ، وما في الدَّرْبِ من سكَنٍ
مهما تكنْ ابطأَتْ في خطوِها القَدَمُ
ولو تداركني قومي بنجدتِهِم
لأَصْبحَ الصُّبْحُ والأعداءُ تَنْهزِمُ
لكنَّ قومي أَشتاتٌ وإنْ كَثُرُوا
مستضعفونَ وإنْ في مالِهِمْ عَظُمُوا
كأنَّهم من متَاعِ الأرضِ غيرَ أُولي
نُهىً وغيرَ أُولي فَضْلٍ وإنْ كَرُمُوا
نهبَ الذئابِ التي جاسَتْ على نَهَمٍ
والذئبُ أَظْهرُ ما في طَبْعِهِ النَّهَمُ
أصبحُ في الحيِّ .. لا صوتٌ ولا خَبَرُ
الكلُّ أغلَقَ باباً خلْفَهُ صنَمُ

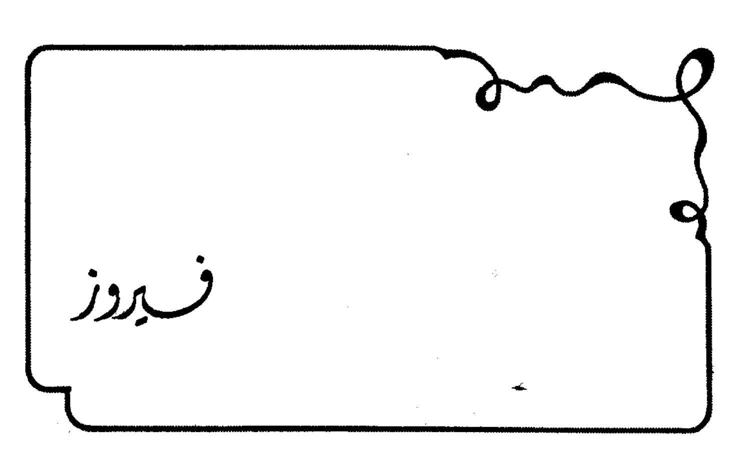
***

يا أهْلَ لبنانَ جَلَّ المَجْدُ عن ثَمَنٍ
وجَلَّ ان ترتخي من دونِهِ الهِمَمُ

أَنْتُمْ ونحـنُ ندىً من غيثِ أُمَّتِنـا
وعـن قريبٍ يوافـي سيلُهـا العَرِمُ

لا يأْسَ من أُمَّـةٍ نالـت أوائِلُهـا
رسالـةً قَبَسَـتْ من نورِهـا الأُمَمُ

وَوِقْفَـةُ العِـزِّ ، عِزٌّ في عواقِبِهـا
لـكنَّ عاقبـةَ المُسْتَسْلِمِ النَّدَمُ



التي غنت للحب وللجمال . . ومشى صوتها في شوارع القدس العتيقة .

سمعـتُ فيروزَ في الصحـراءِ فانبجَسَـتْ
عيْنٌ ، وأزهَـرَ وردٌ رُحْـتُ أَقْطِفُهُ

يا مُخْمَـلاً رَفَلَـتْ حورُ الجِنـانِ بهِ
ويا جنـاحَ فراشـاتٍ تُهَفْهِفُهُ .

سبقَتَنـي لفـؤادي وانسكبـتَ به
خمـراً حلالاً وسـرًّا لسـتُ أعرفُهُ

لعلَّـهُ قمـرُ الأقمـارِ أوْ قدَرُ الـ
أقـدار ، أوْ جوهـرٌ صَعْـبٌ تكَشُّفُهُ

وصـوتُ فيروزَ جَوَّادٌ تَدَفُّقُهُ
وصوتُ فيروزَ حَنَّانٌ تَلَهُّفُهُ

وصوتُ فيروزَ آمادٌ ، وأجنحةٌ ،
وكبرياءٌ ، وجُرْحٌ عَزَّ مُسْعِفُهُ

وصوتُ فيروزَ نجوى الريحِ إنْ هَمَسَتْ
للياسمينِ بصيفٍ رَقَّ مِطْرَفُهُ

وصوتُ فيروزَ رَجْعُ الأرضِ ان غَضِبَتْ
وثارَ بُركانُها وانهالَ قاذفُهُ

وصوتُ فيروزَ انهارٌ ، وأوْدِيةٌ ،
وطائرٌ في ذُرى صنِّينَ موقِفُهُ

وصوتُ فيروزَ انواءٌ ، واشرعةٌ
وشاطئٌ نَبَتَتْ نخلاً مشارفُهُ

دُرُّ البحارِ خبيءٌ في مجاهِلِها
وصوتُ فيروزَ ذَوْبُ الدُرِّ أحرفُهُ

عَشِقْتُ في الحَلِّ والتَّرْحالِ صُحْبَتَهُ
وهلْ على القلبِ من ناي يُشَنِّفُهُ

أعْرى له ، وهو عارٍ في تَأَوُّدِهِ
وما بنا حاجةٌ للتوتِ نخصِفُهُ

فعدتُ طفلاً ، وعادَ الكونُ مُؤْتلِقاً
وعادَ يألفُني حيناً وآلفُهُ

يا أخْتَ لبنانَ أبْدَعْتِ الجمالَ وكَمْ
أجْزَلْتِ في عالَمٍ جَفَّتْ عواطفُهُ

لا غَيَّبَ اللهُ صوتاً ما له عِوَضٌ
ولا بلابِلُ كُلِّ الأرضِ تَخْلُفُهُ

الفهرس


الحديثة

صدر للمؤلف

كلمة في الكيان الفلسطيني	١٩٦١	رسالة سياسية
حرب العصابات	١٩٦٤	ترجمة
عندما يزهر البرتقال	١٩٧٨	مجموعة شعرية
حقيبة قائد اللواء	١٩٨١	قصة للأشبال
زيتون الرامة	١٩٨١	قصة للأشبال

منشورات فلسطين المحتلة

الثمن ١٠ ل . ل او ما يعادلها